

اللغز العربى كان حيا

عزى زيدان

دار الجيل
بيروت - لبنان

0148707

Bibliotheca Alexandrina



اللغة العربية
كانن حيا

عزجي زیدان

اللغزنا العریبنا کان حیا

دار الجیل

مطبعة دار الجیل - القاهرة

تولدت - لیسبنا
١٩٤٧ هـ

حقوق الطبع محفوظة للنّاشِر
الطبعة الثانية
١٩٨٨

مقدمة

هذا كتاب صغير في بحث جديد ، تنبهنا له ونحن ننشر الطبعة الثانية من كتابنا «الفلسفة اللغوية» لأن موضوعه تابع لموضوعها ، او هي خطوة ثانية فسي تاريخ اللغة باعتبار منشأها وتكونها ونموها .. فالفلسفة اللغوية تبحث في كيف نطق الانسان الاول ، وكيف نشأت اللغة وتولدت الالفاظ من حكاية الاصوات الخارجية ، كقص الرعد ، وهبوب الريح ، والقطع ، والكسر ، وحكاية النف ، والنفخ ، والصفير ، ونحوها .. ومن المقاطع الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزيا ، كالتأوه ، والزفير . وكيف تنوعت تلك الاصوات لفظا ومعنى بالنحت ، والابدال ، والقلب ، حتى صارت ألفاظا مستقلة وتكونت الافعال ، والاسماء ، والحروف ، وصارت اللغة على نحو ما هي عليه .

وأما تاريخ اللغة ، فيتناول النظر في ألفاظها وتراكيبها ، بمد تمام تكونها ، فيبحث فيما طرأ عليهما من التغيير بالتجدد او الدثور ، فيبين الالفاظ والتراكيب التي دثرت من اللغة بالاستعمال ، وما قام مقامها من الالفاظ الجديدة ، والتراكيب الجديدة ، بما تولد فيها ، او اقتبسته من سواها ، مع بيان الاحوال التي قضت بدثور القديم ، وتولد الجديد .

وأمثلة مما دثر ، او أهمل ، او تولد ، او دخل . وهو بحث لغوي تاريخي فلسفي قسمنا الكلام فيه الى ثمانية فصول ، باعتبار الادوار التي مرت على اللغة وهي :

١ - العصر الجاهلي : ويتناول تاريخ اللغة من أقدم أزمانها الى ظهور الاسلام . . . أوردنا فيه أمثلة مما دخلها من الالفاظ الاعجمية من اللغات الحبشية ، والفارسية ، والسنسكريتية ، والهيروغليفية ، واليونانية وغيرها ، وأسندنا ذلك الى اسباب تاريخية . وذكرنا القاعدة في تعيين أصول تلك الالفاظ ، وأمثلة مما تولد في اللغة نفسها من الالفاظ الجديدة ، وأيدنا ذلك بمقابلة العربية بأخواتها ، او بالنظر الى ألفاظها بحد ذاتها .

٢ - العصر الاسلامي : ونريد به ما حدث في اللغة بعد الاسلام من الالفاظ الاسلامية مما اقتضاه الشرع ، والفقه ، والعلوم اللغوية ، ونحوها .

٣ - الالفاظ الادارية في الدولة العربية : وتشمل ما دخل اللغة العربية من الالفاظ الادارية التي اقتضاها التمدن الاسلامي عند انشاء دولة العرب . . . وهي اما دخيلة ، واما مولدة . ويتخلل ذلك بحث في كيفية انتقال اللفظ من معنى الى آخر .

٤ - الالفاظ العلمية في الدولة العربية : ويدخل فيها الالفاظ والتراكيب التي اقتضاها نقل العلم والفلسفة من اليونانية وغيرها الى اللغة العربية في العصر العباسي .

٥ - الالفاظ العامة في الدولة العربية : وهي الالفاظ التي تولدت في اللغة ، او دخلتها بغير طريق الشرع ، او العلم ، كالالفاظ الاجتماعية ونحوها .

٦ - الالفاظ النصرانية واليهودية : وهي ما دخل اللغة العربية من الالفاظ ، والتراكيب السريانية ، او العبرانية ، بنقل الكتب النصرانية الى العربية .

٧ - الالفاظ الدخيلة في الدول الاعجمية : وتتناول ما اكتسبته اللغة من الالفاظ الاعجمية بعد زوال الدول العربية ، وتولي الدول التركية ، والكردية ، وغيرها .

٨ - النهضة الحديثة : وفيها ما اقتضاه التمدن الحديث من تولد الالفاظ الجديدة . واقتباس الالفاظ الافرنجية للتعبير عما حدث مسن المعاني الجديدة في العلم ، والصناعة ، والتجارة ، والادارة ، وغيرها .
وصدرنا الكتاب بتمهيد في نواميس الحياة وخضوع اللغة لها ، وختسناه بفصل في لغة الدواوين ، وخلاصة في مجمل ما تقدم .
على اننا نعد ما كتبناه في هذا الموضوع الجديد خواطر سائحة ، فتحنا بها باب البحث لأئمة الانشاء ، وعلماء اللغة . . فتتقدم اليهم ان يوفوا الموضوع حقه ، او يزيدونا منه لانه يحتاج الى بحث كثير ، ودرس طويل . وقد اصبحت اللغة بعد هذه النهضة في العلم ، والادب ، والشعر ، في غاية الافتقار اليه . . ليعلم حملة الاقلام ان اللغة كائن حي تام خاضع لناموس الارتقاء ، تتجدد ألفاظها ، وتراكيبها على الدوام . . فلا يتهيون من استخدام لفظ جديد لم يستخدمه العرب له . وقد يكون تهييم مانعا من استثمار قرائحهم ، وربما ترتب على اطلاق سراح اقلامهم فوائد عظمي تعود على آداب اللغة العربية بالخير الجزيل . ولا بد من اعتبار القواعد العامة ، والروابط الاساسية ، مما اشرنا اليه في محله . . ناهيك بما ينجم عن معرفة اصل الكلمة وتاريخها من تفهم معناها الحقيقي .

جرجي زيدان

تمهيد

نواميس الحياة :

من أهم نواميس الحياة : النمو ، او التجدد ، وهو ينطوي على دثور الانسجة وتولد ما يحل محلها . . ومعنى ذلك ان الجسم الحي مؤلف من خلايا لكل منها حياة مستقلة ، اذا انقضت ماتت الخلية وانحلت أجزاؤها والصرفت ، وتولدت في مكانها خلية جديدة تتكسبون من العصارات الغذائية ، كالدم ونحوه . . فالجسم الحي في انحلال وتولد دائسين . حتى قالوا : ان جسم الانسان يتجدد كله في بضع سنين ، اي لا يبقى فيه شيء من المواد التي كان يتألف منها قبلا . وبغير هذا التجدد لا يكون الجسم حيا . واذا حدث في جسم الحيوان ما يمنع من تجدد الانسجة أسرع اليه الفناء . . فالتجدد ضروري للحياة .

وحياة الامة مثل حياة الفرد ، بل هي ظاهرة فيها أكثر من ظهورها فيه . لان الامة انما تحيا بدثور القديم ، وتولد الجديد . . فكأن أفراد الامة خلايا يتألف منها بدن تلك الامة ، وهو يتجدد في قرن كسا يتجدد جسم الانسان في عقد من عقود تلك القرون .

وإذا تتبعنا نمو الأمة بتوالي الاجيال ، رأيناها تتفرع وتتشعب ..
فتصير الأمة الواحدة أما يتفاوت البعد بينها بتفاوت الأزمان والاحوال .
وكل أمة من هذه ، تتشعب بتوالي الدهور الى أمم أخرى ، وهكذا الى
غير حد .. وهو ما يعبرون عنه بناموس الارتقاء العام .

اللغة كائن حي

وينبع الاحياء في الخضوع لهذه النواميس ما هو من قبيل ظواهر
الحياة او توابعها ، وخاصة ما يتعلق منها بأعمال العقل في الانسان ، كاللغة
والعادات ، والديانات ، والشرائع ، والعلوم ، والآداب ، ونحوها ..
فهذه تعد من ظواهر حياة الأمة ، وهي خاضعة لناموس النمو والتجدد
ولناموس الارتقاء العام . ولكل من هذه الظواهر تاريخ فلسفي طويل ،
نعبر عنه بتاريخ تمدن الأمة ، او تاريخ آدابها ، او علومها ، او حكومتها ،
او أديانها ، او نحو ذلك . وهي أبحاث شائقة فيها فلسفة ونظر .. ومن
هذا القبيل تاريخ اللغة وآدابها .



والبحث في تاريخ اللغة على العموم يتناول :
اولا : النظر في نشأتها منذ تكونها مع ما مر عليها من الاحوال قبل
زمن التاريخ ، كتكوين الافعال ، والاسماء ، والحروف ، وتولد صيغ
الاشتقاق وأساليب التعبير ونحو ذلك ، والبحث في هذا كله من شأن
الفلسفة اللغوية ، وقد فصلناه في كتابنا «الفلسفة اللغوية» .
ثانيا : النظر فيما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط
اصحابها بالامم الاخرى ، فاكسبت من لغاتهم ألفاظا وتعبيرات جديدة ،

كما يقتبس أهلها من عادات تلك الأمم ، وأخلاقهم ، وآدابهم ، وما يرافق ذلك من تنوع معاني الالفاظ بتنوع الاحوال مع حدوث صيغ جديدة ، والفاظ جديدة .

ثالثا : النظر في تاريخ ما حوته اللغة من العلوم ، والآداب ، باختلاف العصور وهو «تاريخ آداب اللغة» . وهذا التقسيم تقريبي ، اذ لا تجد حدا فاصلا بين هذه الاقسام .

واذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من ظواهر الامة ، كالآداب ، او اللغة ، او الشرائع ، او غيرها ، باعتبار ما مر بها من الاحوال في اثناء نموها ، وارتقائها ، وتفرعها ، رأيتها تسير في نموها سيرا خفيا لا يشعر به المرء الا بعد انقضاء الزمن الطويل . ويتخلل ذلك السير البطيء وثبات قوية تأتي دفعة واحدة ، فتغير الشؤون تغييرا ظاهرا . . وهو ما يعبرون عنه بالنهضة ، وسبب تلك النهضات على الغالب احتكاك الافكار بالاختلاط بين الأمم على أثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط او خوف ، او يكون سبب الاختلاط ظهور نبي ، او مشرع ، او فيلسوف كبير ، او نبوغ قائد طموح يحمل الناس على الفتح والغزو ، او أمثال ذلك من اسباب الاختلاط . . فتتحاك الافكار ، وتتمازج الطباع ، فتتنوع العادات ، والاخلاق ، والاديان ، والآداب ، واللغة تابعة لكل ذلك . . بل هي الحافظة لآثار ذلك التغيير ، فتحفظ بها قرونا بعد زوال تلك العادات ، او الآداب ، او الشرائع ، واذا تبدل شيء منها حفظت آثاره . . وسنقتصر في هذا البحث على تاريخ اللغة العربية في دورها الثاني ، وهو تاريخ الفاظها وتراكيبها بعد تكونها .

ادوار تاريخ اللغة

باعتبار ما طرا من التغيير على الفاظها
وتراكيبها بعد تكونها وارتقائها

إذا تدبرنا ما مر على اللغة العربية من المؤثرات الخارجية بمسند
تكوّنها وارتقائها حتى اكتسبت ما اكتسبته من الالفاظ وضروب التعبير،
وأيضا قد مرت في ثمانية أدوار ، او عصور ، هي :

- ١ - العصر الجاهلي : وفيه ما لحق اللغة من التنوع والتغير فسي
الفاظها وتراكيبها قبل الاسلام .
- ٢ - العصر الاسلامي : أي أثر الاسلام في ألفاظ اللغة وتراكيبها .
- ٣ - الالفاظ الادارية في الدولة العربية .
- ٤ - الالفاظ العلمية في الدولة العربية .
- ٥ - الالفاظ الاجتماعية ونحوها .
- ٦ - الالفاظ النصرانية .
- ٧ - الالفاظ الاعجمية في دول الاعاجم .
- ٨ - النهضة الحديثة .

العصر الجاهلي

ويراد به الزمن الذي مر على اللغة العربية قبل الاسلام ، ولا يمكن تعيين أوله لضياح ذلك في ثنيات الدهور التي مرت قبل زمن التاريخ .. ولكننا نعتقد ان اللغة العربية نشأت ونمت ، أي تميزت فيها الاسماء ، والافعال ، والحروف ، وتكونت فيها معظم الاشتقاقات ، والمزيدات ، وهي لا تزال في حجر أمها ، أي قبل انفصالها عن أخواتها الكلدانية ، والعبرانية ، والفينيقية ، وغيرها من اللغات السامية . وبعبارة اخرى ان أم هذه اللغات ، ويسمونها اللغة السامية او الآرامية تم نموها ، فتكونت أقمالها ، وأسمائها ، وحروفها ، واشتقاقاتها ، ومزيداتها قبل ان تشتت اهلها ، او نزحوا الى فينيقية ، وجزيرة العرب ، وما بين النهرين ، حيث اختلفت لغة كل قوم منهم بعد ذلك النزوح ، باختلاف احوالهم .. فتولدت منها اللغات السامية المعروفة . فالساميون الذين نزلوا جزيرة العرب ، تنوعت لغتهم تنوعا يناسب ما يحيط بهم من الاحوال ، او يجاورهم من الامم .. فتميزت عن أخواتها بأمور خاصة ، هي خصائص اللغة العربية . وتشعبت هذه اللغة في اثناء ذلك الى فروع يختلف بعضها

عن بعض باختلاف الاصقاع ، وهي لغات الحجاز ، واليمن ، والحبشة .
وتفرعت لغة كل من تلك البقاع الى فروع ، باعتبار القبائل والبطون مما
لا يمكن خصره . . كل ذلك حدث قبل زمن التاريخ .

ويكفينا في هذا المقام البحث في لغة الحجاز وحدها ، وهي اللغة
العربية التي وصلت اليها ، لقد كانت قبل تدوينها - أي قبل الاسلام -
لغات عديدة تعرف بلغات القبائل ، وبينها اختلاف في اللفظ والتركيب ،
كلغات تميم ، وربيعة ، ومضر ، وقيس ، وهذيل ، وقضاعة ، وغيرها .
كما هو مشهور . وأقرب هذه اللغات شيها باللغة السامية الاصلية ايمدها
عن الاختلاط ، وبمعكس ذلك القبائل التي كانت تختلط بالامم الاخرى
كاهل الحجاز ما يلي الشام ، وخاصة اهل مكة ، وبالاخص قريش ، فقد
كانوا اهل تجارة وسفر شمالا الى الشام ، والعراق ، ومصر ، وجنوبا الى
بلاد اليمن ، وشرقا الى خليج فارس وما وراءه ، وغربا الى بلاد الحبشة .
فضلا عما كان يجتمع حول الكعبة من الأمم المختلفة ، وفيهم الهنود ،
والفرس ، والانباط ، واليمانية ، والاحباش ، والمصريون ، عدا الذين
كانوا ينزحون اليها من جالية اليهود والنصارى ، فدعا ذلك كله الى
ارتقاء اللغة بما تولد فيها او دخلها من الاشتقاقات ، والتراكيب ، مما لا
مثيل له في اللغات الاخرى .

وزاد ذلك الاقتباس خاصة على أثر النهضة التي حدثت في القرنين
الاول ، والثاني ، قبل الاسلام ، بتزول الحبشة ، والفرس في اليمن ،
والحجاز ، على أثر استبداد ذي نواس ملك اليمن . . وكان يهودييا
فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس للميلاد ، وخاصة اهل نجران ،
غلب اليهم اعتناق اليهودية . . فلما ابوا قتلهم حرقا وذبحا ، فاستنجد
بعضهم بالحبشة . . فحمل الاحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها
حيناً ، وأذلوا ملوكها أعواما . ثم أنف احد ملوكها ذو يزن ، فاستنجد

بالفرس على عهد كسرى أنوشروان ، فأنجده طمعا في الفتح . . فأخرج
الاحباش من اليمن بعد ان ملكوها ٧٣ عاما ، وكانوا في اثناء ذلك
يترددون الى الحجاز ، وحاولوا فتحه في أواسط القرن السادس ، فجاءوا
مكة بأفيالهم ، ورجالهم ولم يفلحوا . واهتم اهل الحجاز بقدوم الحبشة
الى مكة حتى أرخوا منه وهو عام الفيل . ولما فتح الفرس اليمن ،
اقاموا فيها واختلطوا بأهلها بالمبايعة والمزاوجة وتوطنوا ، وكانوا يقدمون
الى الحجاز وأهل الحجاز يترددون اليهم .

الألفاظ الأعجمية

فكان لهذه النهضة تأثير كبير في اللغة العربية ، فتكاثرت ألفاظها ومشتقاتها ، فلما جسعوا اللغة بلغت صيغ أبنية الاسماء فقط بضع مئات ، ثم صارت بعد ذلك بيضعة قرون الف ومائتين وعشرة أمثلة . . ناهيك بما دخلها من الالفاظ الغريبة وما اقتبسه من التراكيب الاجنبية ، ولكن اكثره ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز اصله . . على اننا نستدل على تكاثر الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو أخواتها من أمثال تلك الالفاظ . فاذا رأينا لفظا في العربية لم نر له شبيها في العبرانية ، او الكلدانية ، او الحبشية ، ترجح عندنا انه دخيل فيها . وأكثر ما يكون ذلك في أسماء العقاقير ، او الادوات ، او المصنوعات ، او المعادن ، او نحوها ، مما يحمل الى بلاد العرب من بلاد الفرس ، او الروم ، او الهند ، او غيرها . . ولم يكن للعرب معرفة به من قبل ، او في أسماء بعض المصطلحات الدينية ، او الادبية ، وأكثر ذلك منقول عن العبرانية ، او الحبشية ، لان اليهود والاحباش من اهل الكتاب . ويقال بالاجمال ان العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها ، ولذلك رأينا أئمة اللغة اذا أشكل عليهم أصل بعض الالفاظ

الاعجبية عدوها فارسية ، ومن أمثلة ما ذكره صاحب المزهري من الالفاظ
 الفارسية : الكوز ، الجرة ، الابريق ، الطشت ، الخوان ، الطبق ،
 القصعة ، السكرجة ، السور ، السنجاب ، الفاقم ، الفنك ، الداق ،
 الخز ، الدياج ، التاخنج ، السندس ، الياقوت ، الفيروزج ، البلور ،
 الكمك . الدرمل . الجردق ، السميد ، السكباج ، الزبرياج ، الاسفيداج ،
 الطياهج . الفالوذج ، اللوزنج ، الجوزنج . البفرنج ، الجلاب ،
 السكنجين ، الخلنجين ، الدارصيني ، الفلفل ، الكراويا ، الزنجيل ،
 الخولنجان ، القرفة ، النرجس ، البنفسج ، النريسن ، الخيري ،
 السوسن ، المزنجوش . الياسين ، الجلنار . المسك ، العنبر ، الكافور ،
 الصندل ، القرنفل» اهـ . وعندنا ان بعض هذه الالفاظ غير فارسي
 كما ستري .

ومما اقتبسوه من اليونانية واللاتينية : الفردوس ، والقسطاس ،
 والبطاقة ، والقرسطون ، والقبان ، والاصطرلاب ، والقسطل ، والقنطار ،
 والبطريق ، والترياق ، والقنطرة ، وغيرها كثير .
 وأما ما نقلوه عن الحبشية ، فأكثره لا يدل على أصله لتغير شكله ،
 ولأن الحبشية والعربية أختان تتشابه الالفاظ فيهما . والمشهور عند
 علماء العربية من الالفاظ المقتبسة من الحبشية ثلاثة : كفلين ، والمشكاة ،
 والهرج . . لكننا لا نشك في انهم اقتبسوا كثيرا غيرها ، وخاصة ما يتعلق
 منها بالاصطلاحات الدينية .

من ذلك قولهم «المنبر» وهو عند العرب «مكان مرتفع في الجامع او
 الكنيسة يقف فيه الخطيب او الواعظ» وقد شقه صاحب القاموس من
 «نبر» أي ارتفع وفي ذلك الاشتقاق تكلف . وعندنا انه معرب «ومبر»
 في الحبشية أي كرسي او مجلس او عرش .
 ومن هذا القبيل لفظ «النفاق» وهو عند العرب «ستر الكفر فسي

القلب واظهار الايمان» وقد شقوه من «نفق» راج او رغب فيه ، وليس بين المعنيين تناسب ، واضطروا لتعليه الى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا : «ومنه اشتقاق المناق في الدين» وهو تكلف نحن في غنى عنه اذا عرفنا ان «نفاق» في الحبشية معناها الهرطقة ، او البدعة ، او الضلال في الدين . وهي من التميزات النصرانية التي شاعت فسي الحبشية بدخول النصرانية فيها .

وكذلك لفظ «الحواري» شقه صاحب القاموس من «حار» بمعنى البياض ، وقال في معنى الحواري انه سمي بذلك لخلوص نية الحواريين ونقاء سريرتهم او لانهم كانوا يلبسون الثياب البيض ، والظاهر ان هذه اللفظة معرب «حواري» في الحبشية ، ومعناها فيها «الرسول» وهو المعنى المراد بها في العربية تماما .

وكذلك «برهان» وقد شقها صاحب القاموس من «برهن» وشقها غيره من «بره» بمعنى القطع وأن النون زائدة فيها ، وهي في الحبشية «برهان» أي النور ، او الايضاح ، مشتقة من «بره» عندهم أي اتضح او أثار .

وقس على ذلك كثيرا من أمثاله ، كالمصحف ، فانه حبشي مسن «صحف» أي كتب ، والمصحف الكتاب . ناهيك بأسماء الحيوانات ، او النباتات ، او نحوها . فان «عنبسة» من أسماء الاسد عند العرب ، وهي اسم الاسد بالحبشية .

وقد اخذوا عن العبرانية كثيرا من الالفاظ الدينية : كالحج ، والكاهن ، والعاشوراء ، وغيرها ، وأكثرها نقل الى الصيغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى في اللغتين لانهما شقيقتان ، ويضيق هذا المقام عن ايراد الامثلة .

ولا ريب ان العرب اقتبسوا كثيرا من الالفاظ السنسكريتية ممن كان

يخالطهم من الهنود في اثناء السفر للتجارة ، او الحج ، لان جزيرة العرب كانت واسطة الاتصال بين الشرق والغرب . فكل تجارات الهند المحسولة الى مصر ، او الشام ، او المغرب ، كانت تمر ببلاد العرب ، ويكون للعرب في حبلها او ترويجه شأن . وقد عثرنا في السنسكريتية على ألفاظ تشبه ألفاظا عربية ، تغلب ان تكون سنسكريتية الاصل لخلو أخوات العربية من أمثالها كقولهم «صبح» و «بهاء» فانهما فسي السنسكريتية بهذا اللفظ تماما ، ويدلان على الاشراق او الاضاءة . ولا يعقل انها مأخوذان عن العربية لان السنسكريتية دوت قبل العربية بزمن مديد . ونظن لفظ «سفينة» سنسكريتي الاصل ايضا ، وكذلك «ضياء» . ولعلنا بزيادة درسنا اللغة السنسكريتية ينكشف لنا كثير من أمثال ذلك .

على اننا نرجح ان العرب اخذوا عن الهنود كثيرا من المصطلحات التجارية وأسماء السفن وأدواتها ، وأسماء الحجارة الكريمة ، والعقاقير، والطيب مما يحمل من بلاد الهند . والعرب يمدونها عربية ، او يلحقونها بالالفاظ الفارسية تساهلا : كالمسك مثلا ، فقد رأيت صاحب المزهر يعده فارسيًا ، وهكذا يقول صاحب القاموس . وهو في الحقيقة سنسكريتي، ولفظه فيها «مشكا» وذكروا «الكافور» بين الالفاظ الفارسية وهو هندي على لغة اهل ملقا ولفظه عندهم «كابور» . وقد ذكروا ايضا ان القرنفل فارسي ، والغالب عندنا انه سنسكريتي لان أصله من الهند وقس عليه .

القاعدة في تعيين اصول الالفاظ الاعجمية

وتعيين اصل اللفظ للاحاقه باللغة المأخوذ منها يحتاج الى نظر لا يكفي

فيه المشابهة اللفظية ، اذ كثيرا ما تتفق كلمتان من لغتين في لفظ واحد ومعنى واحد ولا تكون بينهما علاقة ، وانما يقع ذلك على سبيل النواذر بالاتفاق .. الا اذا دلت القرائن على انتقال احدهما من لغة الى اخرى وساعد الاشتقاق على ذلك .

فاذا اتفق لفظان متقاربان لفظا ومعنى في لغتين ، وكان بين اهل تينك اللغتين علاقات متبادلة من تجارة ، او صناعة ، او سياسة ، فاز لنا الظن ان احدهما اقتبست من الاخرى .. فاذا كان ذلك اللفظ من أسماء المحاصيل ، او المصنوعات ، او الادوات ، فيرجح لحاقه باللغة السابقة الى ذلك ، كلفظ «المسك» مثلا فانه موجود في العربية وفي الفارسية وفي السنسكريتية وفروعها .. فاذا عرفنا ان المسك يحمل الى العالم من تونكين ، وثبيت ، ونيبال ، والصين ، وان الهنود القدماء كانوا يحصلون الطيب الى الامم القديمة ويمرون بسفنهم ببلاد العرب ، ترجح عندنا ان العرب اخذوا هذه اللفظة عن الهنود ، كما اخذها الفرس منهم ، او لعلها انتقلت الى الفارسية من العربية .. لان الفرس يعدونها عربية ، كما يعدها العرب فارسية .. او هي في الفارسية باعتبار انها فرع من السنسكريتية كما هي في الانجليزية بطريق التفرع ، وكما هي فسي اللاتينية لانها أخت السنسكريتية ، ومن اللاتينية انتقلت الى الفرنسية لانها فرع من اللاتينية .

ويقال نحو ذلك في «كافور» فان العرب يعدونها فارسية ، والفرس يقولون انها عربية .. وهي موجودة ايضا في السنسكريتية ، واللاتينية ، وفروعهما .. فبايها نلحقها ؟

في مثل هذه الحال ، يجب البحث في مصدر الكافور .. فاذا علمنا انه يصدر من اليابان والصين ومن ملقا ، وأن اسمه باللغة الملقية «كابور» ترجح عندنا انه ملقي الاصل . وكذلك «الزنجبيل» - الجسذور

المعروفة - فان العرب يقولون انها تعريب «شكبييل» في الفارسية ،
والفرس يقولون انها عربية . . ولم نجد «شكبييل» في القاموس
الفارسي . واذا بحثنا عن اسم هذا العقار في اللغات الاخرى ، رأينا
اسمه في اليونانية «زنجباريس» وفي اللاتينية «زنجبار» فأول ما يتبادر
الى الذهن انه من «زنجبار» البلد المعروف ، وانه سمي بذلك لانه كان
يحصل منه او لسبب آخر . . فاذا رجعنا الى منبت هذا العقار ، رأينا
هنديا . . ورأينا اسمه في اللغة السنسكريتية «زرنجايرا» مشتقة من
«كرينجا» او «زرنجا» أي القرن ، لمشابهة جذوره به . . فيترجح عندنا
انه سنسكريتي الاصل .

ومن هذا القبيل «الفلفل» فان العرب يقولون انه فارسي ، والفرس
يقولون انه عربي . . وهو موجود ايضا بمثل هذا اللفظ في الانجليزية،
والالمانية ، واللاتينية ، ويوجد ايضا في السنسكريتية ، ويلفظ فيها «بلا»
او «فيفالا» ولما كان الفلفل من محاصيل الهند ، وأجوده يرد من مالابار،
نرجح ان هذه اللفظة سنسكريتية الاصل . ومعنى «بيالا» عندهم ايضا
«التينة المقدسة» .

ويقال عكس ذلك في الالفاظ الدالة على محاصيل بلاد العرب او
حيواناتها ، كالقهوة مثلا . . فانها موجودة في الفارسية وفي كل لغات
اوربا ، فالارجح انها عربية الاصل لان هذه اللفظة كانت عند العرب قبل
اصطناع القهوة اسما من أسماء الخمر . . فأطلقوها على قهوة البن .
ومثل ذلك أسماء الجمل ، والزرافة ، والغزال ، وغيرها من أسماء
الحيوانات العربية . . وربما كان بعضها مأخوذا في الاصل من لغة
غير عربية .

واذا كانت اللفظة المشتركة بين لغتين من قبيل المصنوعات ، فالحاقها
بأصحاب تلك الصناعة من الامتين اولى . . فقد اختلط العرب بالفرس

وخاصة بعد الاسلام ، وأخذوا منهم كثيرا من الملابس والانسجة ، ولم ينقلوها الى لسانهم .. بل عربوها وأبقوها على ما هي ، كالسراويل ، والقباء (ومنها الجبة) والتبان ، والجورب ، والديياج ، والارجوان ، والسرموج ، والقفطان ، والطربوش ، والبابوج .. كما فعل اهل هذا العصر بأسماء الملابس الافرنجية التي اقتبسوها من الافرنج في تمدنهم الاخير ، كالبنطلون ، والجاكت ، والستيك ، وغيرها ..



واقتبس العرب من الفرس كثيرا من ألوان الاطعمة ، وأنواع الاسلحة والفرش والادوات ، وأبقوها على لفظها الاعجمي .. وهي كثيرة ، يضيق هذا المقام عن ذكرها ، ومنها الجلاب ، والجلنار ، والبنفسج ، والخشاف ، والخوذة ، والدسكرة ، والدولاب ، والدهقان ، والسرجين ، والسرداب ، والطنبور ، والفرسخ ، وغيرها كثير .. فالحاقها بلغاتها الاصلية ، يسوغه اولا التاريخ لانه يدلنا على ان العرب اقتبسوا تلك المواد من الفرس ، فاذا تأيد ذلك بالاشتقاق اللغوي ، كان الدليل أثبت .. مثل «جلاب» فانها مؤلفة في الاصل الفارسي من «كل آب» أي ماء الزهر . و«خشاف» من «خوش آب» و «سرداب» من «سرد آب» او «سردابه» بيت الثلج من «سرد» أي بارد و «آب» ماء والطربوش من «سربوش» أي غطاء الرأس . والبابوج من «بابوش» أي غطاء القدم .

وكثيرا ما يكفي الاشتقاق اللغوي وحده في معرفة اصل اللفظة ، بشرط ملاحظة مقابلة اللغات .. فاذا وجدنا لفظة في العربية ، ومثلها في الفارسية او اللاتينية او اليونانية مثلا ، ولم يساعدنا التاريخ على معرفة حقيقة اصلها ، عمدنا الى اشتقاقها وصيغتها ، فاذا لم يكن لها مجانس في

أخوات العربية ، وكان لها ذلك في أخوات الفارسية او اللاتينية او اليونانية . نرجح انها من احدى هذه اللغات مثل «البلاط» بمعنى «قصر الملك» فقد عدما العرب عريية ، وشقوها من البلاط المعروف لان القصور تفرش به . ولكن هذه اللفظة في اللاتينية Palaffum ومعناها قصر الملك . فاذا ادعى مدع انها عريية الاصل . وان الرومان اقتبسوها من العرب . قلنا ان الرومان يرجعون بأصلها الى نل كان في رومية بهذا الاسم ، نزل عليه أوغسطس قيصر وأقام فيه . فسسي قصره به . . . واذا أعجزنا الدليل الساريخي . عندنا السى الاشتقاق . . فان Pula في السنسكريتية معناها الحامي او المدافع . وكان الملوك القدماء انما بينون القصور للتحصن بها . .

وقد لا يهدينا التاريخ مطلقا كما في لفظ «جاموس» فان التاريخ لا يساعدنا على معرفة اصلها . هل هي عريية او فارسية . فاذا رجعنا الى الاشتقاق ام نر لها اشتقاقا في العربية . اما في الفارسية فانها مركبة من لنطين «كاو» ثور او بقرة و «ميش» كبش . ولكن الجاموس هنسدي الاصل . . ومعنى «جاوميشا» في السنسكريتية «البقرة الكاذبة» .

عود

وبالجملة فقد دخل العربية ألفاظ كثيرة من معظم اللغات الني كانت شائعة في التاريخ القديم ، ممن خالط العرب كالمصريين القدماء ، والحثيين ، والفينيقيين ، والكلدان ، والهنود ، والفرس . . حتى الزنوج والنوبة وغيرهم مما لم يعد تمييز أصله ممكنا لتقدم هذه واختلاف شكله .

ومن أمثلة ما اخذوه عن اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية لفظ

«قبس» بمعنى الشعلة : فهي في الهيروغليفية «خبس» ومعناها مصباح .
وبعض تلك الاقتباسات اخذها العرب رأسا عن اصحابها ، والبعض الآخر
حملت اليهم على يد الامم الاخرى ، كما نقل لهم اليهود لفظ «نبي» من
اللغة المصرية القديمة «الهيروغليفية» وأصل معناه فيها «رئيس العائلة» او
«رب المنزل» .

وكما نقل لهم الفرس «الشطرنج» عن اللغة الهندية السنسكريتية ،
فحسبها العرب فارسية . . وقالوا انها تعريب «تشرنتك» بالفارسية ،
ومعناها ستة اوان ولعلمهم يريدون «تشرنتك» - والصواب انها لعبة
هندية فدييه . كانت تسمى في اللغة السنسكريتية «شتورنكا» أي
الاجزاء الاربعة التي يتألف منها الجند عندهم . . وهي الافراس : والافيال ،
والمركبات . والمنساة . . فأخذها الفرس عنهم نحو القرن السادس للميلاد ،
ثم اخذها العرب عن الفرس فحسبوها فارسية . وتكلفوا في تعليلها
كما رأيت .

ولم يقتصر العرب على اقتباس الالفاظ من اللغات الاخرى واستبقائها
على حالها . ولكنهم صرفوها وشقوا منها الافعال ، ونوعوا معناها على
ما اقتضته احوالهم . . فقد شقوا من لفظ النبي : «نبا» و «تنبا» و «نابا» .
وشقوا من قبس أفعالا وأساء عديدة .

ومن هذا القبيل «اللجام» وهو من «لكام» في الفارسية . فشقوا
منه اولا «ألجم الدابة» ألبسها اللجام و «التجت الدابة» مطاوع ألجم .
رجسوا لجام على لجم وألجمه . ثم استخدموه مجازا فقالوا : «لجمه الماء»
أي بلغ فاه ، وقالوا «لفظ لجامه» أي انصرف من حاجته مجهودا مسن
الاعياء والعطش . . وقولهم «التقي ملجم» ارادوا به انه مقيّد اللسان
والكف .

والمهر الخاتم في الفارسية . استعاره العرب وبنوا منه فعلا ، فقالوا :

مهر الكتاب أي ختمه بالمهر .
 ومن ذلك ما شقوه من لفظ «ديوان» وهي أعجمية فقالوا : «دوئن»
 أي كتب اسمه في الجندية .
 وقس على ذلك كثيرا من الالفاظ الدخيلة التي يعتقد العرب انها
 عربية ، وقد شقوا منها الافعال والاسماء مثل «سراب» وهي تعريب
 «سيرآب» في الفارسية أي مملوء ما . والزمهير من «زم اريز» بالفارسية
 أي ضباب بارد . وجزاف من «كزاف» بالفارسية أي العبث من الكلام .
 والضنك من «تنك» في الفارسية ضيق ، وقد شقوا منها أفعالا وأسماء
 ترجع الى هذا المعنى .
 ثم ان اكثر ما ادخله العرب الى لغتهم من الالفاظ الاجنبية ، لم يكن
 له ما يقوم مقامه في لسانهم على ان كثيرا منه كانت له عندهم أسماء
 مشهورة . لا يبعد ان يكون بعضها دخيلا ايضا ، فغلب استعمال الدخيل
 الجديد وأهمل القديم . من ذلك ان العرب كانوا يسمون الابرسق
 «تامورة» والطاقن «مقلي» والهاوون «منحاز» او «مهراس» والميزاب
 «مثقب» والسكرجة «الثقوة» والمسك «المشموم» والجاسوس «الناطس»
 والتوات «الفرصاد» والاترج «المتك» والكوسج «الائط» والبادنجان
 «الالب» والرصاص «الصرفان» والخيار «القند» . فهذه الاسماء
 وأمثالها ، أهملها العرب قبل الاسلام ، بعد ان استبدلوها بأسماء دخيلة .
 فعلوا ذلك عفوا بلا تواطؤ او قصد ، وانما هو ناموس النمو يقضي
 عليهم بذلك .

التغيير في الألفاظ

ذكرنا فيما تقدم أمثلة مما دخل اللغة العربية من الألفاظ الاجنبية قبل زمن التاريخ الذي عبرنا عنه بالعصر الجاهلي .. ونذكر الان ما لحق ألفاظها الاصلية من التنوع والتفرع في ذلك العصر . والادلة على ذلك كثيرة ، نكتفي منها بالواضح الصريح .. فنذكر اولاً ما نستدل عليه من مقابلة العربية بأخواتها العبرانية والسريانية ، ثم ما تشهد به حال اللغة العربية نفسها .

مقابلة العربية بأخواتها

من الحقائق المقررة ، ان العربية والعبرانية والسريانية ، كانت فصي قديم الزمان لغة واحدة ، كما كانت لغات عرب الشام ومصر ، والعراق ، والحجاز ، في صدر الاسلام . فلما تفرق الشعب السامي ، اخذت لغة كل قبيلة تتنوع بالنمو والتجدد على مقتضيات أحوالها ، فتولدت منها لغات عديدة .. أشهرها اليوم العربية ، والعبرانية ، والسريانية .. كما تفرعت عربية قريش بعد الاسلام الى لغات الشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز ،

وغيرها . ولكن الفرق بين فروع اللغة السامية ، أبعد مما بين فروع اللغة العربية ، لتقيد هذه بالقرآن وكتب اللغة . فاذا راجعت الالفاظ السامية المشتركة في العربية وأخواتها ، رأيت مدلولاتها قد اختلفت في كل واحدة عما في الأخرى . والادلة على ذلك لا تحصى ، اذ لا تخلو المعجمات من شاهد او غير شاهد في كل صفحة من صفحاتها . . فنكتفي بالاشارة الى بعضها على سبيل المثال . .

فلفظ «الشتاء» في العربية مثلا هو أصل مادة «شتاء» في القاموس ، وكل مشتقاتها ترجع في دلالتها الى معنى الشتاء (الفصل المعروف) . فقالوا : شتا في المكان ، اقام فيه شتاء ، وشتا فلان دخل في الشتاء . وأشتى القوم اشتاءً أجذبوا في الشتاء . . الخ .

ولم يدلنا صاحب القاموس على أصل هذا المعنى في هذا اللفظ ، ولكنه أورد رأي المبرّد في ذلك ، فقال ان الشتاء «جمع شتوة» وان الشتوة «الغبراء التي تهب فيها الرياح والارض يابسة فيهبج الغبار» وفي قوله تكلف . . على اننا اذا راجعنا هذه المادة في اللغات السامية ، رأينا الاصل في دلالتها «الشرب» او «الري» او «الصب» فهي كذلك فسي العبرانية والسريانية الى اليوم . وقد شقوا منها الافعال والاسماء لمعان كثيرة ترجع الى الري ونحوه . . الا فصل الشتاء فانهم شقوا له كلمة من اصل آخر يقرب منه لفظا . ويؤخذ من مراجعات كثيرة ان المادة الاصلية (شتا) كانت تدل على الرطوبة او الري في اللغة السامية ، فلما تفرقت القبائل كما تقدم ، تولدت منها المشتقات وتنوعت معانيها على مقتضى الاحوال ، فتولد منها لفظ الشتاء للمعنى المعروف له في العربية . وأهمل معنى الشرب او الري منها . ومع ذلك فلو تدبرت مشتقات هذه اللفظة في أخوات العربية ، لرأيتها تختلف الواحدة عما في الأخرى .

وإذا بحثنا عن لفظ «شهر» في العربية بالمقابلة مع أخواتها ، رأينا

الاصل فيه الدلالة على الاستدارة ، ثم سماوا القمر به لانه مستدير ، ثم أطلقه العرب على الشهر لانهم كانوا يوقتون بالقمر . على ان دلالة على القمر لا تزال باقية في العربية الى اليوم ، وكذلك في السريانية (سهر) تدل عندهم على الشهر والقمر . وأما العبرانية فان للقمر فيها لفظا مشتقا من مادة اخرى هي (يرح) والاصل في معناها «الدوران» فاشتقوا منها «يارح» للدلالة على القمر وعلى الشهر . ومن هذه المادة في العربية «رواح» أي العشي . فكانوا يقولون : «راح فلان» أي جاء او ذهب في العشي . . أي ان اصل المعنى راجع الى «العشي» بغير تقييد بالذهاب او المجيء مثل فواهم : اصبح وأمسى . . ثم غلبت فيها الدلالة على الذهاب في العشي ، ثم صارت للدلالة على مطلق الذهاب . . حدث كل ذلك النوع بلا قصد ولا تواطؤ .

ومن بقايا «يرح» في العربية ، مادة أشكل على أئمة اللغة معرفة اصلها . فعددها بعضهم فارسية وعددها آخرون يونانية . واكتفى غيرهم بأنها غير عربية . وهي في الحقيقة سامية الاصل ، نعتي بها لفظ «آرخ» او «ورخ» او «أرخ» بسعنى وقت ، والأظهر عندنا انها من بقايا اسم الشهر عندهم «يسرح» — والابدال بين الخاء والحاء هين — ومنه «التاريخ» تعريف الوقت ، ثم تنوع معنى هذه اللفظة ، فصاروا يدلون بها على علم التاريخ ، أي ذكر الوقائع والحوادث .

ومن هذا القبيل «كتب» فان الاصل في دلالتها «حفر في الحجر ، او الخشب» فالظاهر انهم استعملوها في اول عهدهم بالكتابة ، وكانوا يكتبون على الحجارة او الخشب حفرا او نحتا ، شأن الكتابة عند الامم القديمة . فلما صاروا يكتبون بالمداد على الرقوق او الاقمشة ، تحول معناها الى الكتابة المعروفة ، ولم يبق لدلالتها على الحفر أثر في العربية ، وان كنا نرى أثر ذلك في «قطب» ونحوها من تفرعات «قط» حكايية

صوت القطع . فيلوح لنا ان الاصل في دلالة كتب (او قطب) على الحفر، انهم كانوا يقولون مثلا «قط بالخشب» أي قطع في الخشب او حفر الخشب ، ثم ألتصقوا الباء بالفعل فصار «كتب» او «قطب» كما ألتصق عامتنا الباء المذكورة بفعل المجيء، فبدلا من ان يقولوا «جاء به» قالوا «جابه» و صرفوه فقالوا «يجيبه ، وجابوه ، ويجيبوه» بدلا من «يجيء به» وجاءوا به ، ويجيئون به ..»

ومثل «كتب» ايضا «سطر» فانها كانت تدل في الاصل على الحفر، ثم تحوّل معناها للدلالة على الكتابة للسبب عينه . ولا تزال «سطر» تدل على الحفر ايضا في العبرانية ، وأما في العربية فقد بقيت الدلالة على ذلك في لفظ مجانس لها هو «شطر» او نحوها .

وكثيرا ما تحوّل المعنى في بعض الالفاظ بانتقاله من الكل الى الجزء، او من الصفة الى الموصوف مثل «اللحم» في العربية ، فان معناها فسي اللغات السامية «الطعام» على اجماله ، ثم خصصه العرب بالدلالة على أهم الاطعمة عندهم وهو اللحم ، وصار في السريانية يدل على الخبز . والاصل في «طبخ» الدلالة على «الذبح» واللفظان متشابهان ، فتحوّل معناها في العربية الى معالجة اللحم للطعام ، واستعملوا للذبح كلمة تقرب منها لفظا .

و «الملح» اصل دلالاته في اللغات السامية كلها من «ملح او ملا» أي نبع الماء . ثم تحوّل معناها الى اكبر مستودعات الماء وهو «البحر» . ونظرا لظهور الملوحة في مياه البحر اكثر من سائر صفاتها ، ولان الملح يستخرج منها سمّوا الملح بها . والظاهر ان هذه اللفظة كانت في أمهات اللغات السامية والآرية قبل تفرقها .. فان اسم البحر في اليونانية يشبه ان يكون مبدلا من «ملح» او ان تكون ملح مبدلة منه ، وكذلك في اللغة السنسكريتية .

و «انبو» كانت تدل في اللغة السامية الاصلية على «التمر» عموما ، وما زالت تدل على ذلك في اللغة الاشورية ، والآرامية . اما في العبرانية فقد ادغست النون في الباء و عوض عنها بالتشديد فصارت (آبه) بتشديد الباء ، علا بقاعدة جارية في نحو ذلك باللغة العبرانية . ثم شقوا من هذه اللفظة فعلا فقالوا (ابب) بمعنى أسر ، وأما في السريانية فقد اصاب هذه اللفظة نفس ما اصابها في العبرانية ؛ وصارت (ابا) وهي تدل عندهم على الفاكهة ، كالتين ، والبطيخ ، والزبيب ، واللوز ، والرمان . وأما في العربية ، فقد حدث نحو ذلك ؛ ولكن «الأب» صار عندهم للدلالة على الكلا والمرعى او ما أنبت الارض وقالوا : «الاب للبهائم كالفاكهة للناس» .



ونحوت «انبو» ايضا بالابدال الى «عنبو» ومنها «عنب» للدلالة على نوع واحد من الاثمار هو ثمر الكرم ، وهذه دلالتها الان في اللغات العربية ، والعبرانية ، والسريانية ، بعد ان كانت تدل في أقدم أزمانها على التمر عموما .

ويقال نحو ذلك في «عبد» فانها في اللغات السامية تدل على العمل، وخاصة الحرث في الحقل ، ولم يبق من مشتقات «عبد» في العربية ما يدل على معناها الاصيلي الا «المعبدة» أي «المجرفة» او «المحراث» . وفيما خلال ذلك فان عبد ومشتقاتها انما تدل على العبادة ، ومنها «العبد» أي الرق و «التعبّد» لان خدمة الحقول كان اكثرهم من الأرقاء . ولما كان اكثر الارقاء من الزوج ، دل المولثدون بلفظ العبد على الزوج السود خاصة .

ومن هذا القبيل «الثلج» والاصل فيه الدلالة على البياض ، ثم أطلق

على أشهر المواد البيضاء •
وكذلك «مرء» فإن اصل دلالتها في اللغات السامية على القوة ،
ومنها الى ارياسة ، ومنها الى اقوى الكائنات وهو الانسان • ولا تزال
في السريانية تدل على الرب فقط ، وهي عندهم (مرا) او «مريا» أما في
العربية فغلبت فيها الدلالة على الرجل • وأما العبرانية ، والسريانية ،
فللدلالة على الرجل فيهما ألفاظ اخرى ترجع في اصل معناها الى القوة •
وكان هذا اللفظ قديم مشترك في أمهات اللغات فانه في اللاتينية Vir
ونحوه في الهندية •



ولهذا السبب استعمل العرب «بعل» للزوج ، وهو يدل في الاصل
على السيد او الرب •• ومنه البعل اكبر آلهة الشعوب السامية ، ومنها
«هبل» كبير أصنام الكعبة •• ويظهر من مراجعة أمهات اللغات الآرية
ان هذا اللفظ انتقل منها الى اللغات السامية قبل تفرق شعوبها لانه في
السنسكريتية «بالا» القوة ، وفي اللاتينية Val - ere قوي •• او
لعل الآريين نقلوه عن الساميين ، او كان في اللغة الاصلية قبل افتراق
الآريين عن الساميين •

ومن أمثلة ما فقد اصله من الالفاظ السامية في اللغة العربية وبقي
فرعه لفظ «الشعر» بمعنى المنظوم •• فقد شقه صاحب القاموس من
«شعر الرجل» بمعنى فطن وأحس ، فقال : «وسي الشاعر شاعرا لفظته
وشعوره» ويلوح لنا من خلال هذا التعليل تسامح لا يرتاح اليه العقل •
والاظهر عندنا ان «الشعر» مشتق من اصل آخر فيه معنى الغناء او
الانشاد او الترتيل ، فقد من العربية وبقي في بعض أخواتها •• ففي
العبرانية أصل "فعلي" لفظه (شور) ومعناه صات او غني او رتل ، ومن

مشتقاته (شير) قصيدة او أنشودة ، وبها سمي نشيد الأناشيد فسي التوراة ، وأمثاله من القصائد او الأناشيد التي رتلها اليهود في أسفارهم او حروبهم . واليهود أقدم اشتغالا بالنظم من العرب . فالظاهر ان العرب اخذوا عنهم كلمة «شير» للقصيدة او الانشودة ، كما اخذوا غيرها من أسماء الآداب الدينية والاخلاقية ، وأبدلوا بآءها عينا على عادتهم في كثير من أمثال هذا الابدال . فصار «شعر» ، أطلقوها على الشعر بأجماله . فلما جمعت اللغة عدوا هذا اللفظ من مشتقات «شعر» . وأما اصل مادة «شور» فقد ذهب من العربية . والقياس في مقابلة الالفاظ بين العربية والعبرانية، يقضي ان تلفظ هذه الكلمة في العربية «سور» بالسين ولا نجد في هذه المادة عندنا ما يماثل هذا المعنى ، الا اذا اعتبرنا تسمية فصول القرآن سورا واحدها «سورة» فيكون المراد بها الانشودة او الترتيلة من قبيل التجويد .

ومن أمثلة تنوع المعاني ان لفظ «الورق» في العربية أصله من «يرق» اخضر ، ومنه ورق الشجر لاخضراره ، ولا يزال من هذه المادة في العربية «البرقان» للمرض المعروف وهو اخضرار الجلد او اصفراره . وقد شقه صاحب القاموس من «أرق» .

وقس على ذلك مئات من الامثلة ، تشهد على ما لحق الالفاظ اللغوية العربية من تنوع معانيها ومدلولاتها قبل زمن التاريخ ، باعتبار مقابلتها بالالفاظ أخواتها السامية .

اللغة العربية وحدها

على اننا لو اقتصرنا على مراجعة المعجمات العربية وحدها ، لانضح لنا هذا الناموس بأجلى بيان . . اذ نرى للمادة الواحدة او اللفظ الواحد عدة معان متفرعة من معنى واحد ، ثم يتنوع المعنى على مقتضيات الاحوال . ولا نحتاج في اثبات ذلك الى ايراد الشواهد لانه بديهي ، وانما يحسن بنا ان نشير الى اسباب ذلك التنوع وهي كثيرة ، وقد ذكرنا بعضها فيما تقدم من الكلام في مقابلة الالفاظ العربية بالفاظ أخواتها ، كاشتقاق معنى الملح من البحر ، ومعنى الثلج من البياض ، وغير ذلك مما بينه تناسب في المعنى . وقد تكتسب الكلمة معنى جديدا من عادة او عقيدة ، مثل قولهم : «بنى على اهله او بأهله» بمعنى تزوج . وليس في أصل فعل البناء هذا المعنى ، وانما اكتسبه من عادة كانت جارية عند العرب ، وهي ان الداخل بأهله كان يضرب عليها قبة ليلة الزفاف . ومن هذا القبيل تحوّل معنى القمر الى الشهر ، لانهم كانوا يوقتون بالقمر . ومن اسباب زيادة النمو في اللغة العربية غير النحت والابدال والقلب، التصحيف وهو التبادل بين الحروف المتشابهة شكلا كالباء ، والتاء ، والثاء ، والنون ، والياء ، او الجيم ، والخاء ، والحاء ، او الدال ،

والذال ، او الراء والزاي ، او السين والشين . وفس عليه ..
فمن أمثلة ما ورد بمعنى واحد وسببه التصحيف ، قولهم رجل صلب
وصلت ، والدبر والدير ، والكرت والكرب ، ورغات ورغاب ، والجلجلة
والحلجلة ، وجاض وحاص ، والنافجة والنافحة ، وهو كثير .. وقد ذكر
منه علماء اللغة مئات . والغالب ان ذلك التصحيف لم يحدث الا بعد
تدوين اللغة ، لانه خطأ بقراءة الخطوط .

ومما اختصت به لغة العرب من نتائج هذا النمو ، ورود الالفاظ
الكثيرة للمعنى الواحد .. فعندهم للسنة ٢٤ اسما ، وللنور ٢١ اسما ،
وللظلام ٥٢ اسما ، وللشمس ٢٩ اسما ، وللسحاب ٥٠ اسما ، وللمطر
٨٤ اسما ، وللبشر ٨٨ اسما ، وللماء ١٧٠ اسما ، وللبين ١٢ اسما ، وللعسل
نحو ذلك ، وللخمر مائة اسم ، وللأسد ٣٥٠ اسما ، وللحبة مائة اسم ،
ومثل ذلك للجمل . أما الناقة فأسمائها ٢٥٥ اسما .. وقس على ذلك
أسماء : الثور ، والفرس ، والحمار ، وغيرها من الحيوانات التي كانت
مألوفة عند العرب ، وأسماء الاسلحة : كالسيف ، والرمح ، وغيرهما .
ناهيك بترادف الصفات ، فعندهم للطويل ٩١ لفظا ، وللقصير ١٦٠ لفظا ،
ونحو ذلك للشجاع ، والكريم ، والبخيل ، مما يضيق المقام عـسـن
استيفائه .

ومن خصائص اللغة العربية أسماء الاضداد ، فان فيها مئات مسن
الالفاظ يدل كل منهما على معنيين متضادين : مثل قولهم «قعد» للقيام
والجلوس و «نضح» للمعش والري و «ذاب» للسيولة والجمود و «أفسد»
للاسراع والابطاء و «اقوى» للافتقار او الاستغناء .

ومن خصائصها ايضا ، دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة .. فمن
أفعالها نيف ومائتا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان .. ونيف ومائة
لفظ يدل الواحد منها على اربعة ، وكذلك التي تدل على خمسة معان .
وقس على ذلك ما يدل على ستة معان ، فسبعة فثمانية فتسعة الى خمسة

وعشرين معنى ، كالحميم ، والفن ، والطيس • وما تزيد مدلولاته على ذلك «الخال» فانها تدل على ٢٧ معنى ، ولللفظ «المين» ٣٥ معنى ، ولللفظ «المجوز» ٦٠ معنى •

فتكثير المترادفات والاضداد ودلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة، لا يحدث الا من تفرع الفاظ اللغة ومعانيها بالنمو والتجدد وتكثير الدخيل • وبالطبع لم يتكون للشيء الواحد مائة اسم او مائتان الا بتوالي الاجيال •• وأحدث تلك الالفاظ اكثرها استعمالا ، وأقدمها اقربها الى الاهمال •

الألفاظ الاسلامية

العصر الاسلامي ..

نريد بالعصر الاسلامي في صدد اللغة العربية ، الزمن الذي مر باللغة بعد ظهور الاسلام ، حتى كتبت العلوم الاسلامية : كالتفسير ، والحديث ، وسائر العلوم الشرعية واللغوية ونحوها ، الى عصر النهضة العباسية . ولا مشاحة في ان الاسلام ، أكثر في اللغة تأثيرا كبيرا ، كان تابعا لتأثيره في العادات والآداب والاعتقادات ..

ويدخل في ذلك ما طرأ على اللغة من الاصطلاحات الدينية ، والفقهية ، واللغوية ، والأدبية ، وما دخلها من الالفاظ الادارية على أثر انشاء الحكومة ودوائرها وفروعها ، ثم الالفاظ العلمية ، والفلسفية ، بترجمة كتب اليونان ، والفرس ، والهنود ، الى العربية ..

ولذلك قسمنا الكلام في العصر الاسلامي الى ثلاثة فصول : لتقتصر في هذا الفصل على ما دخل اللغة العربية من التغيير بسبب العلوم الاسلامية وهو ما عبرنا عنه بالالفاظ الاسلامية ، ونفرد لكل من التغييرات الادارية والاجنبية فصلا خاصا .

فتأثير العلوم الاسلامية على اللغة ، يكاد يكون محصورا في تنوع الالفاظ العربية وتغيير معانيها للتعبير عما أحدثه الاسلام من المعاني الجديدة ، بلا ادخال ألفاظ أعجمية الا نادرا .

١ - الاصطلاحات الشرعية والفقهية

وأشهر ما حدث من التنوعات في الالفاظ العربية في العصر الاسلامي، المصطلحات الدينية ، والشرعية ، والفقهية ، واللغوية .. وكانت ألفاظها موجودة قبل الاسلام ، ولكنها كانت تدل على معان اخسرى ، فتحولت للدلالة على ما يقاربها من المعاني الجديدة . فلفظ «المؤمن» مثلا كان معروفا في الجاهلية ، ولكنه كان يدل عندهم على الامان ، او الايمان وهو التصديق ، فأصبح بعد الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر ، وله في الشريعة شروط معينة لم تكن من قبل .. وكذلك المسلم ، والكافر، والفاسق ، ونحوه . ومما حدث من المصطلحات الشرعية الصلاة ، وأصلها في العربية الدعاء ، وكذلك الركوع ، والسجود ، والحج ، والزكاة ، والنكاح ، فقد كان لهذه الالفاظ وأشباهها معان تبدلت بالاسلام وتنوعت .

وقس على ذلك في الاصطلاحات الفقهية .. كالابلاء ، والظهار ، والعدة ، والحضانة ، والنفقة ، والاعتاق ، والاستيلاء ، والتعزير ، واللقيط ، والآبق ، والوديعة ، والمارية ، والشفعة ، والمناسخة ، والفرائض ، والقسامة ، وغيرها ..

٢ - الاصطلاحات اللغوية

ويقال نحو ذلك في الاصطلاحات اللغوية التي اقتضتها العلوم

اللغوية .. كالنحو ، والعروض ، والشعر ، والاعراب ، والادغام ،
والاعلال ، والحقيقة ، والمجاز ، والنقض ، والمنع ، والقلب ، والرفع ،
والنصب ، والخفض ، والمديد ، والطويل ، وغيرها من أسماء البحور
وضروب الاعراب والتصريف ، وهي كثيرة جدا ولها فروع واشتقاقات ..
حتى لقد اصبح للفظ الواحد معنى فقهي ، وآخر لغوي ، وآخر
عروضي ، وآخر ديني ، مما لا يسكن حصره . وسنذكر أمثلة اخرى عند
الكلام على اصطلاحات المنطق وعلم الكلام .

وأحدث الاسلام تغييرا كبيرا في اساليب التعبير ، كقولهم : «أطال
الله بقاءك» فان أول من قالها عمر بن الخطاب لعلي بن ابي طالب .

٣ - الالفاظ المهملة

وكما أحدث الاسلام ألفاظا جديدة للتعبير عن معان جديدة ، اقتضاه
الشرع الجديد والعلم الجديد .. فقد محا من اللغة ألفاظا قديمة ، ذهبت
بذهاب بعض اعتقادات الجاهلية وعاداتهم .. منها قولهم : «المربع» وهو
ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية . و«النشيط» وهي
ما اصاب الرئيس قبل ان يصير الى بيضة القوم ، او ما يفنمه الغزاة في
الطريق قبل الوصول الى الموضع الذي قصدوه . و«المكس» وهو دراهم
كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية . وكذلك : الاتاوة،
والحلوان . ومما أبطل قولهم : «أنعم صباحا وأنعم ظلاما» وقولهم
للسلك : «أبيت اللعن» وقول المملوك لمالكه : «ربي» . وتسمية من لم
يحج «صرورة» وغير ذلك . وقد نرى بعض هذه الالفاظ مستعملا في
اللغة الان فهو ، اما مستعمل في غير معناه الاصلي .. واما انه قد أرجع
اليه بعد اهماله ..

على اننا لا نشك في اهمال كثير من الالفاظ العربية في القرنين الاولين

للهجرة ، ولا سبب لذلك غير ما يقتضيه النمو من التجدد والدثور ..
 يكفي لتحقيق ذلك ، مراجعة المعجمات وتدبر ألفاظها ، فانك ترى فيها
 مئات وألوفاً من الالفاظ التي بطل استعمالها ، ولا نظنهم جمعوها في
 صدر الاسلام ، الا لانهما كانت شائعة على السنة العرب .
 وقد يعترض على ذلك ان تلك الالفاظ انما أهملت في العصور الاخيرة
 فلا ننكر اهمال بعضها في هذه العصور ، ولكن جانباً كبيراً منها أهمل
 في العصور الاولى ، فضلاً عما قل استعماله قبل الاسلام .. حتى لقد
 كان احدهم يسمع اعرابياً يتكلم ، فاذا ذكر ألفاظاً مهملة أغلق على السامع
 فهمها ولو كان لغويًا ..



يروى عن ابي زيد الانصاري انه قال : «بينما انا في المسجد الحرام ،
 اذ وقف علينا اعرابي ، فقال : يا مسلمون - بعد الحمد لله والصلاة على
 نبيه - اني امرؤ من هذا الملقاط الشرقي ، المواصي أسياف تهامة ، عكفت
 علينا سنون محش ، فاجتبت الذري ، وهشست العري ، وجششت النجم ،
 وأعجبت البهم ، وهمت الشحم ، والتجبت اللحم ، وأحجنت العظم ،
 وغادرت الثراب مورا ، والماء غورا ، والناس أوزاعا ، والنبط قعاعا ،
 والضهيل جراعاً ، والمقام جمعجاعاً ، يصبحنا الهاوي ، ويطرقنا العاوي ،
 فخرجت لا أتلفع بوصيده ، ولا أتقوت بهيده ، فالبخصسات وقعه ،
 والركبات زلمه ، والاطراف فقعه ، والجسم مسلهم ، والنظر مدرهم ،
 اعشوا فاعطش ، وأضحى فاخفش ، اسهل ظالعا ، وأحزن راکما ، فهل من
 أمر بسير ، او داع بخير ، وقاكم الله سطوة القادر ، ومملكة الكاهر ،
 وسوء الموارد ، وفضوح المصادر .. قال ابو زيد فأعطيته دينارا وكتبت
 كلامه واستفسرت منه ما لم اعرفه» وأبو زيد الانصاري من فطاحل أئمة
 اللغة . وأمثال هذه كثيرة في أخبار العرب .

الألفاظ الإدارية

مصالح الدولة

كانت مصالح الدولة قبل الاسلام ، عبارة عن مناصب كبار الامراء من قريش في الكعبة ، كالسدانة ، والسقاية ، والرفادة ، والقيادة ، والمشورة ، والاعنة ، والسفارة ، والحكومة ، والعمارة ، وغيرها .. وكلها عربية يدل لفظها على معناها . فلما ظهر الاسلام ، وفتح المسلمون الشام ، والعراق ، ومصر ، وفارس ، انشأوا على أنقاض دولتي الروم ، والفرس ، دولة دواء فيها الدواوين ، ونظموا الجند ، وسنوا القوانين ، على مسا اقتضاه تمدنهم ، مما لم يكن له مثيل في جاهليتهم .. فاضطروا للتعبير عن ذلك الى ألفاظ جديدة ، فاستعاروا بعضها من لغات القوم الذين اقاموا بينهم وخاصة الفرس ، واليونان ، والرومان ، واستعملوا لما بقي ألفاظا عربية حوّلوا معانيها حتى تؤدي معاني تلك الموضوعات ، كما فعلوا في الاصطلاحات الشرعية واللغوية . ولو شئنا ذكر كل ما استحدثت من تلك الالفاظ لما وسعه غير المجلدات .. فنكتفي بالأمثلة .

١ - الالفاظ الادارية العربية

اول الالفاظ الادارية التي استحدثت في الدولة العربية «ال خليفة» فانها كانت تدل في الاصل على من يخلف غيره ويقوم مقامه بدون تخصيص ، ثم انحصر معناها فيمن يخلف النبي ، وأول الخلفاء ابو بكر . . ومنها صارت تؤدي معنى «السلطان يحكم بين الخصوم والسلطان الاعظم والمحكم الذي يستخلف عن قبله» ويقال نحو ذلك في سائر مناصب الدولة ، كالوزارة ، والامارة ، والنقابة ، والكتابة ، والحجابة ، والشرطة ، ونحوها . .

فان الوزارة كانت تدل على المعاونة ، ثم تغير معناها باختلاف الدول واختلاف حال الوزراء فيها . . ويشتق دار مستتر لفظ الوزير من اصل فارسي قديم (بهلوي) هذا نطقه «ويجيرا» ومعناه حكم ، او أقر .



ومثل ذلك «الكاتب» فقد رأيت فيما تقدم ان الاصل في دلالة «كتب» الحفر على الخشب او الحجر ، لانهم كانوا يكتبون بالحفر . . فلما كتبوا بالمداد ، صار معناها الكتابة المعروفة . ولما ظهر الاسلام احتاجوا الى من يكتب السور فكان الذين يكتبونها يسون كتابة الوحي . وكان بعضهم يكتبون بين الناس في المدينة ، فلما تولى ابو بكر استخدام كاتب يكتب له الكتب الى العمال والقواد . . ولما تولى عمر ودون الدواوين استخدم الكتابة لضبط أسماء الجند وأعطياتهم ، فصار الكاتب يدل على الكتابة والحساب . ولما استبدت الكتابة في الدولة المصرية وغيرها ، صار الكاتب بمعنى الوزير . . ويراد بالكاتب الان العالم المنشىء .

ومن ذلك لفظ «الدولة» فقد كانوا يريدون «انقلاب الزمان والعقبه في المال والفتح في الحرب» ثم دلوا به على الملك ووزرائه ورجاله

حكومته ، ولم يكن لها هذه الدلالة قبلا .
و «الحجابه» تدل في الاصل على السر والمنع . فالحاجب السائر او
المانع ، فكان حاجب الخليفة من اصغر رجال الدولة . فلما ضعف الخلفاء
واسبند الحجاب . صار معنى الحاجب عندهم مثل معنى الوزير .



وقس على ذلك سائر مناصب الدولة ، كالامارة ، والشرطة ، والقضاء ،
والحسبة . والنقابة . والامامة ، وغيرها من اصطلاحات الجند
كالمستزرقة . والمتلوعة ، والعلوفة . والعسكر . وضروب الحرب وابواب
التهجوم . كالزحف ، والكر ، والفر ، والبيات . والكفاح ، والغرة .
وصنوف الاسلحة : كالدبابة ، والكبش ، والعرادة ، وغيرها . ناهيك
باصطلاحات الدواوين على اجسامها ، كقولهم الثغور ، والعواصم ،
والاقليم ، والقصة ، والعسل ، والولاية . والضياح ، والحكومة ، والسكة ،
والتوقيع . والوظيفة ، والخراج . والجزية . والعشور ، والمرافق .
والصوافي . والجوالي . والحجابه ، والوقف . والمصادرة . والمستغلات ،
والصدقة . والمكوس . والمراسد ، ودار الضرب . والضمان ، والدفانر .
والجرائد ، والخرائط . والايغار ، والراتب . والجساري ، والعتاء ،
والبيعة ، والدعوة ، والختم ، والخطط . والمطالمة ، والمؤامرة ، وغير ذلك
كثير جدا .

فالالفاظ المذكورة عربية الاصل واكثرها معروف قبل الاسلام . ولكن
مدلولاتها تغيرت بتغير احوال المسلمين بعد انشاء دولتهم . . اذ حدث
بانشاءها معان جديدة اضطروا في التعبير عنها الى الفاظ جديدة . فتوسعوا
ما عندهم . . اما عسدا او عفوا فصارت الى ما هي عليه .
«فالخراج» مثلا كان معناه في الجاهلية الكراء والغلة ، ويدل ذلك

على معنى ضرب الخراج في الاسلام ، فانهم كانوا يعدون الارض ملكا لهم وقد سلموها لاهلها على سبيل الايجار بالكرء ، فصار معنى الخراج بعد ذلك «ما وضع على رقاب الارض من حقوق تؤدي عنها» ثم صار الخراج مقاسمة او مساحة او سيحا او سقيا ، وأكثرها الفاظ جديدة لمعان جديدة . . .

و «الحكومة» كانت تدل في الجاهلية على الفصل بين المتخاصمين لانها مصدر حكم أي قضي ، وتلك كانت أعمال صاحب الحكومة في الجاهلية ، ثم تحوّل معناها الى «أرباب السياسة او رجال الدولة» .
و «السكة» في الاصل الحديد المنقوشة التي كانوا يضربون عليها النقود ، ثم سميت النقود بها ، واشتقوا منها الافعال والاسماء لهذا المعنى .



و «التوقيع» الاصل فيه «التأثير» من قولهم : «وقع الوبر ظهر البعير توقيعا أثر فيه» ثم استعملوه في الاسلام لما يوقعه الكاتب على القصص المرفوعة الى الخليفة ، او السلطان ، او الامير ، فكان الكاتب يجلس بين يدي السلطان في مجالس حكمه . . . فاذا عرضت قصة (عرضحال) على السلطان ، امر الكاتب ان يوقع عليها (يؤشر) بما يجب اجراءه . ثم تحوّل معناها الى اسم علامة السلطان كالامضاء عندنا . . . وعلى نحو هذا النمط ، تحوّل معنى «الامضاء» اليوم الى التوقيع ، ومعناه في الاصل «التنفيذ» فكان توقيع السلطان على القصة عبارة عن امر رجال الدولة في امضاءها ، أي تنفيذ توقيعها ، ثم تحول معناها الى التوقيع أي وضع العلامة على الصكوك ونحوها .
ومن هذا القبيل «الوظيفة» فان الاصل في معناها «ما يقدم من

عمل ، وطعام ، ورزق ، وغير ذلك» ومنها وظيف عليه الخراج ونحوه ، أي قدّمه . . فاستعملها كتاب الدولة العربية لهذا المعنى مع بعض الانحراف ، فقالوا : «وظف الرجل توظيفا : عين له في كل يوم وظيفة» فالموظف هو الذي يأخذ الوظيفة ، او الراتب . . ثم توسعوا في لفظ الوظيفة . فدثوا بها على المنصب او الخدمة المعينة . والمشهور ان استعمالها لهذا المعنى من اصطلاحات هذا العصر ، ولكنه أقدم من ذلك كثيرا . . فقد استعملها لهذا المعنى جماعة من فحول الكتبة ، كابن خلدون في مقدمته . والمقريري في خطته ، وغيرهما . وتولد في اثناء تحويل هذه اللفظة الى هذا المعنى . الفاظ اخرى تقوم مقامها في معناها الاول ، كالراتب ، والجاري ، والماهية (وهذه فارسية الاصل من «ماه» شهر والماهية الشهرية) . . واستحدثوا لفظة اخرى للمنصب لم يكن لها هذا المعنى من قبل . وهي «الخطة» فمعناها في القاموس «الارض التي تنزلها ولم ينزل بها نازل قبلك» و «الخطة» بالضم «الخصلة وشبه القصة والامر والجهل» فاستعملوها بمعنى المنصب لعلاقة لا نعلها . . ومن ذلك قول ابن خلدون : «الوزارة أم الخطط الاسلاميه والرتب الملوكية» .

٢ - انتقال اللفظ من معنى الى آخر

وانتقال الالفاظ من معنى الى آخر بلا علاقة ظاهرة بين المعنيين كثير في اللغة العربية . ومنها الاضداد . أي اللفظ ذو المعنيين المتضادين . وأسباب هذا الانتقال كثيرة يصعب تتبعها في كل ما نراه من الاختلاف في معاني اللفظ الواحد او مشتقاته ، لكننا نذكر اربعة منها على سبيل المثال :

١ - دخول كلمة أعجمية لفظها يشبه لفظ كلمة عربية ، فيجعلونها من

مشتقاتها .. كما فعلوا بالبلاط بمعنى القصر ، فانهم اخذوها عن اللاتينية ، فأشبهت لفظ البلاط الحجر المعروف فجعلوها من مشتقات «بلط» .
 ومثل قولهم «تباشير» فقد شقها القاموس من «بشر» فقال :
 «التباشير البشرية» . . . وتباشير الصبح أوائله . وكذلك أوائل كل شيء
 ولا يكون منه فعل» واللفظة فارسية مركبة من تبا «مثل» وشير «لبن»
 أي ايض كاللبن ، وكان الفرس يدلون بها على بياض الصبح عند اول
 شروق الشمس : فاقتبسها العرب منهم ودلوا بها على أوائل كل شيء
 وعلى البشرى .

٢ - استعمال لفظين معا لمعنى ، ثم اهمال احدهما بالاستعمال التماسا
 للاختصار . فيبقى الآخر للدلالة على ذلك المعنى . . مثل قولهم «ارتفاع»
 بمعنى جباية فيقولون : «ارتفاع الدولة» ويريدون مقدار جبايتها أي
 مجموع دخلها . وليس في هذه اللفظة ما يلمح منه هذا المعنى ولا ذكره
 لها القاموس . وأصل هذه الدلالة انهم كانوا يستعملون ارتفاع مع
 لفظ جباية ، فيقولون : «ارتفاع جباية الدولة» أي مقدار ما بلغت اليه
 جبايتها (من ارتفاع السعر أي غلا) ثم أسقطوا «الجباية» للاختصار فظلت
 «ارتفاع» وحدها لنفس ذلك المعنى .

* * *

ومثل ذلك قولهم : «اشفي العليل» بمعنى «امتنع شفاؤه» (أي
 ضد معنى المادة الاصلية الشفاء) وسبب هذا التضاد ان «اشفي» من
 مشتقات «شفا» الواوية بمعنى الاشراف او الاقتراب ، وليس من مشتقات
 «شفي» اليائية كما أوردها القاموس . . فكانوا يقولون : «أشفسي
 المريض على الموت» أي أشرف عليه ، ثم اختصروه ، فقالوا : «أشفسي
 المريض» لنفس هذا المعنى ، والتبس على صاحب القاموس أصل مادتها ،

فعددا من مشتقات شفي .

وكذلك قولهم : «عقد له» بمعنى «ولاه» وليس في مادة «عقد» ما يقرب من هذا المعنى . ولا رأينا في القاموس انها تستعمل لمعنى الولاية ، ولكنها كثيرة الورد في كتب التاريخ لهذا المعنى . والاصل في هذه الدلالة ، ان الخلفاء في صدر الاسلام . كانوا اذا وجهوا جيشا الى حرب عقدوا له الولاية وسلسوها الى الامراء . لكل امير لواء . . وكان توجيههم الى الفتح يتضمن معنى الولاية على البلاد التي يفتحونها . ثم صار الخلفاء بعدهم يعقدون ذلك اللواء للامراء عند توليتهم بعض الامارات . . فيقال : «عقد له اللواء على البلد الفلاني» أي ولاه اياه . ثم اختصروا فقالوا : «عقد له» .

ولمثل هذا السبب يستعمل كتابنا اليوم «برهة» بسعنى الزمن القصير، وهي تدل في الاصل على الزمن الطويل . . فالظاهر انهم كانوا يقولون : «برهة قصيرة» او «برهة وجيزة» للزمن القصير . . ثم استعملوا برهة وحدها لهذا المعنى .

٣ - تفرع اللفظ الواحد بالقلب والابدال الى ألفاظ كثيرة تدل على تفرعات المعنى الاصلي . . وأمثلة ذلك كثيرة في اللغة لا حاجة الى ذكرها . ولكن قد يتنوع المعنى ويبقى اللفظ على حاله ، فيندر ان يهتدي الى سبب ذلك التنوع . . ومن أغرب الامثلة على ذلك «جن» ومشتقاتها، فانها تدل على معان كثيرة ترجع الى «الظلمة ، والاختفاء ، والجنون ، والجن ، والجنة» . . ولا يخفى ما بين هذه المعاني من التباين والتناقض . . فلتتبع هذه اللفظة الى أصلها لعنا نهتدي الى تعليل هذا الاختلاف :

يظهر لنا ان هذه المادة قديمة في تاريخ اللغة ، بدليل وجودها فسي جميع اللغات السامية وأمها اللغات الآريسة . . فهي في العبرانية ، والدرمانية على نحو ما هي في العربية لفظا ومعنى . وفي السنسكريتية

«جان» ارواح وكذلك في الفارسية . ويظهر انها حدثت والانسان في اول ادوار حياته ، أي يوم كان المغول ، والآريون ، والساميون ، وغيرهم عائلة واحدة لان الصينيين يدلون على الروح بنحو هذا اللفظ أي «تسن» وأما في اليونانية ، واللاتينية فتدل على الولادة ، او السلسل ، وهما من فروع المعنى الاصلي ..

و«جانا» في السنسكريتية «مسكن الارواح ، او الآلهة» ولعل هذا هو الاصل في دلالة لفظ «الجنة» (الفردوس) في اللغات السامية ايضا . ثم تنقلت حكاية الخليفة عند الساميين أجيالا قبل تدوينها ، فعرض في اثناء ذلك انتقالهم الى اعتقاد التوحيد ، فأثر هذا الانتقال على معنى تلك اللفظة وتحول الى ما نعلمه ..

فلما كتب سفر الخليفة ، كان المعنى الاول قد تنوسي من اللغسة العبرانية ، فضاع كما ضاع معنى لفظ «عدن» .. فأدى ذلك الى الرجم في تفسيرهما بعد ذلك . اما في السنسكريتية ، فلفظ «أدن ، او عدن» معناه الاكل ، او الطعام .. وربما كان هذا هو المراد بجنة عدن في حكاية سفر الخليفة ، لان الله خلق الانسان ووضعه في «جنة عدن» وغرس له فيها الاشجار ليأكل ، ومنعه من شجرة الخير والشر .. كأنه اقامه في جنة فيها أكل ..



ثم ان دلالة مادة «جان» او «جن» على الروح في اللغات السامية لا يزال أثرها باقيا في لفظ «الجان» العربية ، والاصل في دلالتها «كل ما استتر عن الحواس من الملائكة او الشياطين» أي الارواح على اطلاقها . وكان اعتقاد الناس في سبب الجنون ، انه حلول تلك الارواح فسي المجنون .. فعبروا عن الجنون بلفظ مشتق من «الجان» فقالوا : «جن»

الرجل على المجهول ، زال عقله او فسد او دخلته الجن» . ونظرا لاختفاء الارواح عن حواس البشر ، وخاصة عن أنظارهم ، دلوا بتلك اللفظة على الظلمة ، والاختفاء او الاستتار . . فقالوا جنّ الليل : أظلم ، وجنّه الليل: ستره . . فتعلل بذلك تنوع معنى هذه اللفظة الى المعاني الخمسة التي ذكرناها ، وكل ما لمشتقات هذه اللفظة من المعاني يرجع الى احدها .

ويحسن بنا في هذا المقام ان تتبع تاريخ هذه اللفظة في الافرنجية وما يقابلها في اللغات السامية . . فقد خسرت دلالتها على «الروح» في كل اللغات الآرية (الا الفارسية والسنسكريتية) وصارت تدل على ما يقارب ذلك وهو التوليد من Gen ومشتقاتها ، ومنها Genus في اللاتينية ومشتقاتها بمعنى الصنف من الناس . . ويقابلها في العربية «جنس» ويقابل Gen في العربية «جيل» واللفظ والمعنى متقاربان .

ولم تخسر لفظه «جان دلالتها» على «الروح» الا بعد ان تولد ما يقوم مقامها، لاسباب ترجع الى تغيير حدث في عادات الامم او اعتقاداتهم . وأهم ما حدث في اعتقادات البشر الانتقال من الشرك الى التوحيد . . فلما اعتقد الساميون بالتوحيد ، اصبحت الارواح السماوية عندهم أي الملائكة خدما للاله العظيم . . ينفذها حيث شاء لتبليغ او امره او نواهيته، فعبروا عن الروح بلفظ «الرسول» وهذا معنى «الملاك» في اللغات السامية فانه اسم مفعول من «هالك» أرسل ، وأصل المادة «هلك» مشى او سار . . ومنها قولهم في التوراة ملاك الرب : أي رسول الله . وقد فقدت هذه المادة في العربية ، ولا يزال أثرها باقيا في «ألوكه» أي الرسالة . وحدث نحو ذلك في اللغات الآرية فان معنى الملاك عندهم يرجع الى «Angel» وهي مأخوذة من (انجلوس) اليونانية ومعناها «الرسول» كأنهم ترجموا لفظ ملاك الى لسانهم حرفيا .

٤ - اكتساب اللفظ معنى جديدا من عادة شائعة ، كما اكتسب

لفظ «بنسي» معنى الزواج من ضرب القباب على العروس ليلة الزفاف،
وجسلة «عقد له» معنى «ولاه» وقد تقدم ذكرها .
وبالجملة ، فقد حدث في اثناء التغيير الاداري في الدولة الاسلامية،
نهضة عظيمة احدثت تغييرا كبيرا في اللغة لفظا ومعنى . . وليس ما ذكرناه
الا امثلة قليلة .

١ - الالفاظ الادارية الاعجمية

أما الالفاظ التي اقتبسها العرب في اثناء انشاء دولتهم فكثيرة ايضا،
نأتي بأمثلة منها :

من أقدم ما اقتبسوه من الالفاظ الادارية الفارسية «الديوان» على
عهد عمر بن الخطاب ، فانه اول من دوعن الدواوين في الاسلام . فوضع
الديوان على نحو ما كان عند الفرس ، واستعار له اللفظ الفارسي . .
فاستعمله اولا للدلالة على ديوان الجند ، فكانوا اذا قالوا الديوان ارادوا
ديوان الجند فقط ، ثم أطلقوه على سائر الدواوين ، وألحقوا به ألقابا
تميز بينها: كديوان الانشاء ، وديوان العرض ، وديوان الضياع ، وديوان
الخراج ، وهي كثيرة . ودلوا به على الكتاب الذي تدوعن فيه أساء
الجنود ، فكانوا اذا قالوا : فلان من اهل الديوان ، ارادوا انه مسن
اثبتت اسمائهم في ذلك الكتاب . ثم أطلق على كل كتاب ، ثم انحصر
في الدلالة على الكتب التي تجمع فيها الاشعار . . فاذا قالوا : ديوان
فلان : ارادوا به مجموع أشعاره .

ولما كان اهل الديوان يجتمعون في مكان واحد ، سمو ذلك المكان
ديوانا ، وأطلقوا لفظ الديوان على كل مجلس يجتمع فيه لاقامة المصالح
او النظر فيها . . والعامية تعبر بالديوان عن المقعد .

وقس على ذلك كثيرا من الالفاظ الفارسية المتعلقة باصطلاحات

الحكومة ، وخاصة الجند والأسلحة ونحوها : كالخوذة ، والجامكية ،
والجزية ، والدولاب ، والدلق ، ودهقان ، والدانسق ، ورستاق ،
وسباهي ، والبريد ، وزنديق ، وكسرى ، ونيشان ، ويلمق ، والطراز
ونحوها •

والالفاظ اليونانية الادارية قليلة في اللغة العربية ، ومنها : الاسطول،
والمنجنيق ، والدرهم ، والبطاقة ، والقنطاق ، والكردوس ، والليمان •
وإذا تدبرت تاريخ هذه الالفاظ في لغاتها الاصلية او بعد انتقالها الى
العربية ، رأيت مدلولاتها تنوعت بتنوع الاحوال ، فالدرهم مثلا الاصل
فيه الدلالة على الوزن ، ثم دلوا به على نقد وزنه درهم ، ثم أطلق على
النقود كلها •

وأما الالفاظ اللاتينية ، فمنها : البلاط (بمعنى قصر الملك) والدينار
والدمستق • وربما أدخلوا ألفاظا تركية ، او هندية ، او كلدانية ، او
نبطية ، أو نحوها •• مما يضيق المقام عن استيفائه ••

الألفاظ العلمية

العصر العباسي

نريد بالألفاظ العلمية ما اقتضاه نقل كتب العلم ، والفلسفة الى اللغة العربية في العصر العباسي من الالفاظ الجديدة ، لتأدية ما جدّه مسن المعاني ، ما لم يكن له مثل في لسان العرب ، كالمصطلحات الطبية ، والكياوية ، والفلسفية ، والطبيعية ، والرياضية ، والفلكية ، والمنطقية ، وما ألحق بذلك من مصطلحات علم الكلام ، والتصوف ، ونحوهما .

وشأن اهل العصر العباسي في نقل تلك العلوم من اليونانية ، والفارسية ، والهندية ، وغيرها ، مثل شأتنا في نقل علوم هذا العصر من الفرنسية ، والانجليزية ، والالمانية ، وغيرها . . بل هم كانوا أحوج منا الى اقتباس الالفاظ الاعجمية ، وتنويع المعاني العربية لاستغنائنا عن كثير من ذلك ، بما وصل الينا مما اقتبسوه ونوعوه من تلك الالفاظ .

ولم تقتصر تلك النهضة العلمية على تنويع الالفاظ وتبديلها ، ولكنها احدثت تنوعا في التعبير سهل علينا تصوره لكثرة في نهضتنا هذه مما سنذكره في حينه . . فالتغيير الذي اصاب اللغة العربية بنقل كتب العلم ،

والفلسفة قسماً : أحدهما في المفردات ، والآخر في التراكيب ، والتغيير اللفظي أما بتنوع الالفاظ العربية ، او باقتباس ألفاظ أعجمية .

١ - الالفاظ العلمية العربية

هي ألفاظ عربية تنوعت معانيها ، للدلالة على ما حدث من المعاني الجديدة العلمية ، والفلسفية ، التي تنوعت من قبل للدلالة على المعاني الشرعية ، واللغوية ، والأدبية في صدر الإسلام .
وأول تلك الالفاظ ، أسماء العلوم التي نقلت الى لساننا او حدثت فيه على أثر ذلك ، كالطبيعات ، والالهيات ، والرياضيات ، والمنطق ، والهيئة ، والجبر ، والمقابلة ، ونحو ذلك ، مع ما في كل علم مسن الاصلحات الخاصة به ، وهي كثيرة جدا . . اليك أمثلة منها :

١ - الالفاظ الطبية

فالالفاظ الطبية العربية لم يكن منها في الجاهلية الا مفردات قليلة ، كالحجامة ، والكبي ، ونحوهما . . فحدث منها ما يدل على فنون الطب : كالكحالة ، والصيدلة ، والتشريح ، والجراحة ، والتوليد ، ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن : كأسماء الرطوبات ، والامزجة ، والاختلاط من الحار ، والبارد ، والجاف ، واليابس ، والسوداء ، والصفراء ، والبلغم ، والنبض ، والتخمة ، والالذار ، والهضم ، والبحران ، والمشاركات .
وأسماء الادوية : كالمسخنات ، والمبردات ، والمرطبات ، والمجففات ، والمسيلات ، والتطولات ، والمخدرات ، والاستفراغات ، والسعوطات ، والادهان ، والمراهم ، والأطلية .

والكلمات الدالة على أثر تلك الادوية ، مثل : ملطف ، ومحلل ، ومنضج ، ومخشن ، وهاضم ، وكاسر الرياح ، ومخمر ، ومحكك ، ومقرح ، وآكال ، ولاذع ، ومفتت ، ومعفن ، وكاو ، ومبرد ، ومقو . ومخدر ، ومرطب ، وعاصر ، وقابض ، ومسهل ، ومسدر ، ومعرق ، ومزلق ، ومملىس ، وترياق ، وغير ذلك .

ومن الالفاظ الجراحية : الفسخ ، والهتك ، والوثسي ، والرض ، والخلع ، والفتق ، وتفرق الاتصال ، ومفارقة الوضع ، والجبار ، وغيره . ناهيك بأسماء الامراض او أعراضها : كالصداع ، والكابوس ، والصرع ، والتشنج ، واللقوة ، والرعدة ، والاختلاج ، والسرطان ، والسلاق ، والشتر ، والشرة ، والشرناق ، والخانوق ، والذبحة ، والربو ، وذات الجنب ، وذات الرئة ، والجهر ، والضمور ، والخفقان ، والغثيان ، واليرقان ، والاستسقاء ، والديلة ، والاسهال ، والزحير ، والسحج ، والسدد ، والهيضة ، والبواسير ، ونحو ذلك . . مما لا يمكن حصره . ومن أوصاف الامراض انواع الحميات : كالمزمنة ، والحادة ، والمختلطة ، والغب ، والمطبقة ، والربع ، والدق ، وغيرها . . غير الالفاظ التشريحية : كأسماء الاوعية الدموية ، ورطوبات العين ، وسائر الاعضاء الباطنة التي لم يكن العرب يعرفونها . ولاكثر الالفاظ الطبية العربية معان لغوية ، عرفها العرب قبل عصر العلم . . فلما احتاجوا الى المعاني الجديدة استعملوا من تلك الالفاظ ما يقرب معناه من المعنى المقصود .

٢ - الالفاظ الرياضية

ويقال نحو ذلك في الالفاظ الكيماوية ، والرياضية ، والفلكية ، وسائر العلوم الطبيعية ، مما يضيق هذا المقام عن استيفائه ، وقد يلزم

لاصطلاحات كل علم كتاب بذاته .
فمن أمثلة الالفاظ الفلكية ، اكثر اسماء الابسراج ، والافلاك ،
والمصطلحات الفلكية ، والازياج ، وما يلحق ذلك ، كالرصد ، والتعديل،
والتقويم ، والخسوف ، والكسوف .
ومن الالفاظ الرياضية في الهندسة ، والحساب ، والجبر ، ما لا
يحصى ، كالماس ، والمخروط ، والمثلث ، والمربع ، وغير ذلك .

٣ - الالفاظ الفلسفية والمنطقية والكلامية

وأما الفلسفة والمنطق ، فاصطلاحاتهما تفوق الحصر . ومن العلوم
التي اقتضاها التمدن الاسلامي بعد نقل الفلسفة والمنطق الى لسان العرب،
علم الكلام والتصوف مع التوسع في الفقه والاصول . وقد كان لهذه
العلوم تأثير كبير في اللغة العربية ، فنوعت ألفاظها ، وأحدثت فيها ألفاظا
جديدة :

وذلك كقولهم : الكون ، والظهور ، والتقدم ، والحدوث ، والاثبات،
والنفي ، والحركة ، والسكون ، والماسة ، والمباينة ، والوجود ،
والعدم ، والطفرة ، والاجسام ، والاعراض ، والتعديل ، والتحرير ،
والمصاف ، من اصطلاحات علم الكلام . والهاجس ، والمريد ، والمراد ،
والسالك ، والمسافر ، والسطح ، والقطب ، والهيبة ، والانس ، والبقاء ،
والعناء ، والشاهد ، والفترة ، والمجاهدة ، من اصطلاحات التصوف .
وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهية والاصولية
حتى صارت تعد بالالوف ، فاضطروا الى وضع المعجمات الخاصة
لتفسيرها ، وشرح ما اكتسبته من المعاني المختلفة باختلاف تلك العلوم .
ومن أشهر تلك المعجمات كتاب «الترينفات» للجرجاني في نيف ومائة

صفحة و «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي في نحو الفي صفحة كبيرة و «كليات ابي البقاء» في اربعمائة صفحة و «اصطلاحات الصوفية» الواردة في الفتوحات المكية وغيرها . فاذا ذكروا لفظا أوردوا معناه اللغوي ، ثم معناه الاصطلاحي في الفقه او الكلام او التصوف او الاصول مع ما يناسب ذلك من المعاني الرياضية او الطبيعية او النحوية . . وقد يغفلون المعنى اللغوي على الاطلاق .

فيقول الجرجاني في لفظ «القياس» مثلا : «القياس في اللغة عبارة عن التقدير ، يقال : قست النعل بالنعل اذا قدرته وسويته ، وهو عبارة عن رد الشيء الى نظيره . وفي الشريعة عبارة عن المعنى المستنبط من النص لتعدية الحكم من المنصوص عليه الى غيره ، وهو الجمع بين الاصل والفرع في الحكم . وفي المنطق قول مؤلف من قضايا اذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر ، كقولنا العالم متغير وكل متغير حادث ، فانه قول مركب من قضيتين . . اذا سلمنا لزم عنهما لذاتهما العالم حادث هذا عند المنطقيين . وعند اهل الاصول ، القياس ابانة مثل حكم المذكورين بمثل علته في الآخر واختيار لفظ الابانة دون الاثبات ، لان القياس مظهر للحكم لا مثبت ، وذكر مثل الحكم ومثل العلة احتراز عن لزوم القول بانتقال الاوصاف واختيار لفظ المذكورين ليشمل القياس بين الموجودين وبين المعدومين» ثم ميز الجرجاني بين أنواع القياس بالفاظ تلحق به ، كالقياس الجلي والخفي والاستثنائي والاقتراحي وقياس المساواة ، ولكل منها معنى اصطلاحى خاص .

وفي الاصطلاحات الصوفية : «الهاجس» يعبرون به عن الخاطر الاول ، وهو الخاطر الرباني ، وهو لا يخطىء ابدا . . وقد يسيه سهل السبب الاول ونقر الخاطر ، فاذا تحقق في النفس سموه ارادة ، فاذا تردد الثالثة سموه همة ، وفي الرابعة سموه عزيمة ، وعند التوجه الى القلب ان

كان خاطر فعل سموه قصدا ، ومع الشروع في الفعل سموه نية •
و «المريد» هو المتجرد عن ارادته ، وقال ابو حامد : «هو الذي فتح له
باب الاسماء ودخل في جملة المتوصلين الى الله بالاسم • و «المراد» عبارة
عن المجذوب عن ارادته مع تهيب الامور له • فجاور الرسوم كلها
والمقامات من غير مكابدة • و «السالك» هو الذي مشى على المقامات
بحاله ، لا يعلمه فكان العلم له عينا • و «المسافر» هو الذي سافر بفكره
في المعقولات والاعتبارات • • فعبير عن عدوة الدنيا الى عدوة القصى •
و «السفر» عبارة عن القلب . اذا اخذ في التوجه الى الحق تعالى بالذكر •
وقس على ذلك •

٢ - الالفاظ العلمية الاعجمية

حينما قام العرب بتعريب العلوم ، نقلوا من اصطلاحاتها الى لسانهم
ما استطاعوا نقله ، ونوعوا الالفاظ على مقتضى المراد كما تقدم • وما
لم يستطيعوا تعريبه ، نقلوه بلفظه الى لسانهم • • وأكثر ما يكون ذلك في
اسماء العقاقير ، والامراض ، او الادوات ، او المصنوعات التي لم يكن
لها شبيه في بلادهم •
فما اقتبسوه من أسماء العقاقير : الافستين ، والبقدونس ،
والزيفون ، والسقونيا ، والقنطاريون ، والمصطكي من اللغة اليونانية •
والبابونج ، والبورق ، والبنج ، وخيار شمير ، والراتينج ، والزرجون ،
والزرنيج ، والزاج ، والسرقين ، والاسفيداج ، والشاهترج ، والشيرج ،
والمرداسنج من اللغة الفارسية •
ومن أسماء الامراض ونحوها من الاستعمالات الطبية : القولنج ،
والترياق ، والكيروس ، والكيلوس ، وقيفال ، ولومان ، وملنخوليا من

اليونانية .. ورسام ، ومارستان من الفارسية .
ومن المصنوعات والادوات : الاصطراب ، والقيراط ، والانبيق ،
والصابون من اليونانية .. والبركار ، والبوتقة ، والجنزار ، والدسكرة،
والاسطوانة من الفارسية .

ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها : الهولسي ، والاسطقس ،
والفلسفة ، والطلسم ، والمنطيس ، والاقليم ، والقاموس ، والقانون من
اليونانية .. غير ما اقتبسوه من اللغة الهندية ، وأكثره من أسماء العقاقير
ونحوها .

فترى مما تقدم ان اهل تلك النهضة لم يكونوا يستنكفون من
اقتباس الالفاظ الاعجمية ، ولم يتعبوا انفسهم في وضع ألفاظ عريضة
لتأدية المعاني التي نقلوها عن الاعاجم .. بل كانوا كثيرا ما يستخدمون
للمعنى الواحد لفظين من لغتين أعجميتين . فالرسام مثلا اسم فارسي
لورم حجاب الدماغ ، استعمله العرب للدلالة على هذا المرض .. ولما
ترجموا الطب من لغة اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو «قرانيطس»
ولو استكفوا من استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعا .

٣ - التراكيب الاعجمية في اللغة العربية

هذا مطلب بعيد الاطراف ، يستغرق درسا طويلا وبحثا عميقا ، لا يأذن
بهما المقام .. فنكتفي بالتنبيه اليه ، ونأتي ببعض الامثلة لتأييد قولنا .
لكننا بالقياس على ما دخل اللغة العربية من التراكيب الاجنبية في اثناء
نهضتنا الاخيرة ، بما نقلناه من علوم الافرنج الى لساننا ، نقطع بحدوث
مثل ذلك في النهضة العباسية ، وثقله العلم يومئذ من غير اهل اللسان
العربي ..

على اننا لو فحصنا لغة ذلك العصر ، وقابلنا بين عبارة كتب الطب ،

والفلسفة . وعبارة كتب الادب ، لرأينا الفرق بينهما واضحا . واذا دققنا النظر في سبب ذلك الفرق رأينا عبارة اصحاب الفلسفة تمتاز بأمور ، هي سبب ضعفها وركاكنها منها :

١ - استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله هال اللغات الافرنجية .

٢ - كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم .

٣ - الاكثار من استعمال الفعل المجهول .

٤ - استعمال ضمير الغائب «هو» بين المبتدأ والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه .

٥ - ادخال الالف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات . كقولهم روحاني . ونفساني ، وباقلاني ، ونحو ذلك ، مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا يستحسن في اللسان العربي .

ومن التعبيرات التي اقتبسها العرب من اللغة اليونانية ، ما لم يكن لهم مندوحة عنها ولا بأس منها :

١ - تركيب الالفاظ مع لا النافية ، وادخال أل التعريف عليها ، كقولهم اللانهاية ، واللأدرية ، واللاضرورة .

٢ - صوغ الاسم من الحروف او الضمير ، مثل قولهم اللمية ، والكيفية ، والكمية ، والهوية .

٣ - نقل الالفاظ من الوصفية الى الاسمية ، كقولهم المائية ، والمنضجة ، والخاصة .

ومن هذا القبيل ، اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم «صاحب الشرطة» و «صاحب الستار» وهو تعبير فارسي .

الألفاظ العامة

كل ما ذكرناه من أمثلة نمو اللغة العربية في العصر الاسلامي ، انما هو قاصر على تفرع ألفاظها وتجديدها ، بما اقتضاه الشرع ، والعلم ، والفلسفة ، والادارة ، والسياسة . وهناك تغييرات اخرى ، نتجت عما طرأ على الآداب الاجتماعية من التغيير ، فضلا عن التجارة والصناعة ، وما اقتضاه كل منها من تنوع الالفاظ العربية او اقتباس الالفاظ الاجنبية ، كأسماء الانعام الموسيقية ، والالحان وفروعها . . عدا ما اقتبسه المسلمون من العادات الاجنبية ، وما يتبع ذلك من أسماء الملابس ، والاطعمة ، والاحتفالات مما تفني شهرته عن ايراده .

وهناك تغييرات اخرى اصابته الالفاظ اللغة بغير داع من الدواعي التي قدمناها ، بل هي جرت في ذلك على ناموس الارتقاء العام القاضي على الأحياء بالتجدد والتنوع والتفرع ، لاسباب بعضها معلوم ، وبعضها غير معلوم . والغالب في هذا التنوع ان يكون بالانتقال من معنى كلي الى معنى جزئي ، او من معنى الى ما يشبهه ، او يتعلق به ، مما يمررون عنه بالتوليد . . فالالفاظ المولدة هي التي أحدثها المؤكدون بعد ان دوت

اللغة وضبطت ألفاظها في أوائل الاسلام . والالفاظ المولدة اكثر كثيرا مما يظن اللغويون ، بل هي تتولد على الدوام بلا انقطاع . وكل ما تقدم ذكره من الالفاظ الاسلامية ، والادارية ، والعلمية ، والتجارية ، انما هو من قبيل المولد ، ولكنهم قلما يسمونها مولدة . . . وعندهم ان القاموس هو الحكم الفصل في العربي والمولد العامي ، فما لا يذكره القاموس بين الالفاظ العربية عدوه عاميا او مولدا وحظروا استعماله .

ولكن القاموس وحده لا يكفي للحكم في ذلك ، لانه لم يتضمن كل ما تناقلته السنة البلغاء او تداولته أقلام الكتاب ، ولا كل ما نطقت به العرب . . . وقد فطن الى ذلك أئمة اللغة في العصر الاسلامي وما بعده ونهبوا اليه . . . قال ابن فارس : «ان لغة العرب لم تنته اليها بكليتها ، وان الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير» وقال السيوطي : «ومع كثرة ما في القاموس من النوادر والشوارد ، فقد فاته اشياء ظفرت بها في اثناء مطالعتي لكتب اللغة ، حتى همت ان أجمعها في جزء مذيلا عليه» . . . فعدم ورود اللفظ في القاموس لا يدل دائما على انه عامسي او ضعيف . . . ناهيك بالفاظ كثيرة ، اكتسبت بالحضارة معاني جديدة لم يدونها القاموس ، لان الائمة اعتبروها من قبيل الالفاظ العامية . . . ولكن الكتاب استعملوها ، وفيهم المشاهير المشهود لهم بالبلاغة وسلامة الذوق .



فالاصل في معنى «البيت» في القاموس البناء المعروف ، والشرف ، والشريف . . . فكانوا يقولون بيت بني تميم أي شرفهم ، وفلان بيت قومه أي شرفهم ، وبيت القصيدة احسن آياتها قال «والعامة تقول هو من بيت فلان ، أي من عائلته» مع ان استعمال البيت بمعنى العائلة مما تداولته أقلام البلغاء وفي مقدمتهم ابن خلدون ، وقد عرفه بقوله : «البيت ان يعد الرجل في آباءه أشرافا مذكورين تكون له بولادتهم اياه والاتساب

اليهم تجلة في اهل جلدته» وقال : «وكان بنو اسرائيل بيتا من اعظم بيوت العالم» .

و «الحضارة» الاصل في معناها سكني المدن اي ضد البداوة . . فلما تحضر العرب ، وكثر الترف في مدنها ، صار معنى الحضارة عندهم «التفنن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطايخ والملابس والفرش وغيرها» .

ويقال نحو ذلك في «العمران» فان أصل معناها من عمر الرجل في المكان سكن فيه ، ثم صارت تدل على معنى المدنية والحضارة . وهذا ما اصاب لفظ «التمدن» فانها من تمدن الرجل ، أي تخلق بأخلاق اهل المدن ، ثم دلوا بها على مثل ما تدل عليه الحضارة او العمران او المدنية .

وقد استعملوا «ركاب السلطان» بمعنى موكبه ، ولا تجد لهذه اللفظة هذا المعنى في القاموس ، ولكن الكتاب استعملوها له . وكذلك «كافة» فقد نبه القاموس انها تستعمل في مثل : «جاء الناس كافة» أي كلهم ، وانها لا تدخل عليها آل التعريف ولا تضاف . ولكن بلغاء الكتاب قد استعملوها في الحالين مرارا : قال ابن خلدون : «لما كان الجهاد فيها مشروعا لعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام» .

وقال صاحب أدب الدنيا والدين : «وفرض جميعه على الكافة كان أولى مما لم يجب فرضه على الاعيان ولا على الكافة» .



وقال ابو اسحق الصابي الكاتب الشهير من نسخة عهد كتبها عسبن المطيع لله الى الفضنفر بن ناصر الدولة : «أمره ان يعرف لركن الدولة

ابسي علي وعز الدولة ابي منصور موليبي امير المؤمنين تولاها الله حق
مزلتها من امير المؤمنين وغنائها عن كافة المسلمين» .
ومن الالفاظ التي استعملها الكتاب القدماء ، واقتدى بها كتابنا . .
مع ان استعمالها يخالف قول القاموس ، تخصيص «القينة» بمعنى المغنية،
والاصل اطلاقها على الامة مغنية كانت او غير مغنية .
و «المقراض» و «المقص» فان الاصل في استعمالها بالمشى ، لانها
مقراضان ومقصان ، أي شفرتان . فيقال : «قرضتـه بالمقراضين»
و «قصصته بالمقصين» . وقلنا نرى بين الكتاب القدماء او المحدثين من
يستعملها كذلك ، بل هم يقولون : قرضته بالمقراض ، وقصصته بالمقص .
والاصل في «المأثم» الاجتماع على العوم : ثم خصصوه بالاجتماع
في مجتسع النياحة .
و «أرق» في الاصل للسهر في مكروه ، ثم صار عاما .
ومن الاستعمالات الجارية على أقلام الكتاب ، وهي خطأ باعتبار
القواعد المدونة ، قولهم : «بدأ به اولاً» والصواب : «بدأ به أول» مثل
قولهم قبل ، وحكهما واحد .
ومن هذا القبيل ، جمع حاجة على حوائج . وعادة على عوائد ، وهما
شائعتان عند الكتاب مع مخالفتها للقاعدة .
وكذلك جمع ربيع على أرياح خطأ . ولكن الحريري استعملها ومثله
جمع ارض على أراضي وجمع الجواب على أجوبة .
وقولهم : «شفعه بثالث» غلط ، اذ لا يقال شفعه الا للثاني من الشفع .
والاصل في «القافلة» الرفقة الراجعة ، فصارت تطلق على الرفقة
المسافرين ذهاباً او اياباً .

وقس على ذلك تنوعات كثيرة يعدها القاموس خطأ ، وقد نبه السى
خطأها جماعة من فطاحل البلغاء ، وألقوا في تصحيحها الكتب .
، وأشهر د' ألقوه كتاب «دعوة الخواص في أوهاام الخواص» لابسي
محمد الحريري صاحب المقامات ، وقد شرحها وعلق عليها كثيرون ، ومنهم
ابن ييري بن عبد الجبار النحوي المتوفي عام ٥٨٢ هـ ، وأبو عبد الله
المعروف بحجة الدين الصقلي المتوفي عام ٥٥٥ ، وابن المظفر المكسي
المتوفي عام ٥٦٨ ، وابن الخشاب النحوي ، وأبو بكر الانصاري ،
وأحمد الخفاجي المصري ، وغيرهم . . وكل من هؤلاء اضاف الى ذلك
الكتاب ألقاظا من هذا القبيل فانت صاحب الدرّة ، ونبهوا الى خطأ
استعمالها . . ومع ذلك فالطبيعة غلبت على آرائهم وأقوالهم لان ما عدوه
خطأ ، انما هو من نتائج التواميس الطبيعية التي لا بد منها . . سنة الله
في خلقه .

الألفاظ النصرانية واليهودية

نريد بالألفاظ النصرانية واليهودية ، ما دخل اللغة العربية مسن
الاصطلاحات الدينية لاهل الكتاب . وخاصة بعسد ان نقلت التوراة ،
والانجيل الى اللسان العربي . . فقد كانت لغة الدين المسيحي قبل
الاسلام السريانية ، واليونانية ، والقبطية . . ولغة اليهود العبرانية ، على
تفاوت في استخدام الواحدة دون الاخرى : واختلاف ذلك باختلاف
العصور والاماكن .

فلما جاء الاسلام ، وانتشر المسلمون في العراق ، والشام : ومصر ،
وتسلطت اللغة العربية ، اخذت تلك اللغات تتقهقر ، حتى توارت . .
ولم يبق منها الا آثار قليلة في بعض الطقوس ، فالمسيحيون اصبحت
العربية لغتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا التعبير بها عن كل اصطلاحاتهم
الدينية ، ولما ترجموا التوراة والانجيل الى العربية ، أبقوا كثيرا من
الألفاظ الدينية على لفظها ومعناها . . على ان كثيرا من الألفاظ النصرانية
دخلت اللغة العربية في العصر الجاهلي ، كالتقيس ، والدير ، والتوراة ،
والانجيل ، وغيرها .

١ - الالفاظ الدينية والسريانية

واليك أشهر الالفاظ النصرانية واليهودية التي دخلت اللغة العربية وأصلها سرياني ، او كلداني ، مرتبة على حروف الهجاء ، وقد يشتبه بعضها بالأصل العبراني ، او ربما كان بعضها عبرانيا .. وقد وصل العربية على يد السريان *

آب بالمد لاسم الله	بحران	تفشرة	جهنم
عز وجل	برخ	توبة	حانوت
اسطوانة	برنساء	توراة	حبر
آمين	ترعة	تيسن	دين بسعنى الحكم
أبا	تلميذ	جالوت	دير
باعوث	تنور	جبروت	رشم الطفل
زياح	صحاح	قداس	مزمور
زيق	صراط	قربان	مشحة
ساعور	صلوت	قسيس	ملكوت
تسبيح	طاغوت	قيامة	ميمر
سبط	طوبيسي	كاروز	ناسوت
سعالين	طور	كراس	ناطور
سفر	طوفان	كنيسة	ناقوس
سفسير	عراب	كهنوت	ياحة
سليح	عروبة	كورة	يسم
سنور	عماد	لاهوت	يوناني
شبين	غفارة	مار	
شماس	فصح	مرعز	

فضلا عن أسماء الشهور الشمسية مثل : كانون ، وتشرين ، وأيلول •
ومن الالفاظ النصرانية ، ما هو من أصل يوناني دخل العربية اما رأسا
او بواسطة اللغة السريانية ، مثل قولهم : انجيل ، وهرطقة ، وأسقف ،
ومطران ، وطقس ، وطعمة ، وقس على ذلك ••

٢ - التراكيب او العبارات النصرانية

نريد بهذه التراكيب ما دخل العربية من اساليب اللغسة السريانية ،
والعبرانية ، واليونانية ، وخاصة بعد ترجمة التوراة ، وهي كثيرة لأنسي
بأمثلة منها :

- فمن التراكيب العبرانية قولهم :
- قال في قلبه : أي افكر •
- واستراح الله من جميع عمله الذي عمله •
- من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ••••• واذا أكلت موتا تموت •
- وحدث بعد ايام ان قايين قدم أثمارا •• وحدث اذ كانا في الحقل ان
قايين قام على اخيه •• الخ •
- فيكون اذا رآك المصريون اهتم يقولون : هذه امرأته •
- صنع له خيرا وصنع له شرا : بدل أحسن اليه وأساء اليه •
- ورقع عينيه ونظر •
- وصار كلام الرب الى ابرام قائلا •
- قد وجد نعمة في عينيه •
- حسن ذلك في عيني الله •• وقبح ذلك في عيني الله •
- فتح فاه وعلمهم •
- ومن التراكيب اليونانية قولهم :
- هكذا مكتوب بالنبى •

- وهي تلك الايام جاء يوحنا المعمدان •
 - ثم أصعد يسوع الى البرية من الروح ليحرب من ابليس •
 - وفيما هو خارج من الطريق ركض واحد وجثا له •
 - تكلم الرب بضم أنبيائه •
- وربما كان في بعض هذه التراكيب مسحة غير يونانية لاعتماد اكثر مترجمي الاناجيل على بعض ترجماتها في اللغات الاخرى فضلا عن الاصل اليوناني •• على اننا لا نعد هذه التراكيب مما يستحسن اقتباسه والنسج على منواله ، وانما هو خاص في لغة الكتاب المقدس أدخله المترجمون لاضطرارهم الى المحافظة على النص الحرفي •

الألفاظ الدخيلة والموادة

في عصر التدهور

ما برحت اللغة العربية منذ الفتح الاسلامي ، وهي تكتسب الالفاظ الاعجمية والتراكيب الاجنبية كما رأيت ، مما دخلها من الالفاظ الادارية والعلمية في العصر العباسي وغيره حتى في العصر الجاهلي . . ولكن المراد بالالفاظ الاعجمية في هذا الفصل ، ما خالط اللغة من الالفاظ والتراكيب الاعجمية : بعد انقضاء دولة العرب ، وافضاء الملك الى السلاطين والامراء من الفرس ، والديلم ، والترك ، والاكراد ، والجرکس ، في العراق ، وفارس ، والشام ، ومصر وغيرها .

لان اللغة العربية ما زالت سائدة في تلك الدول ، على اختلاف نزعاتها ولغاتها ، وكانت في اكثرها هي اللغة الرسمية التي تتخاطب بها الحكومات . ولم تكن الدول الاعجمية اقل عناية بأداب اللغة العربية من الدول العربية ، بل كانوا اكثر اهتماما منهم في انشاء المدارس ، وتعليم الفقراء ، واستنساخ الكتب ، ولكن حال العمران على اجساله يومئذ قضى على اللغة بالانحطاط ، فدخلها التكلف والتجمل والتصنع ، وتكاثرت

فيها ألفاظ التفخيم والتبجيل . . وشاع التسجيع في الانشاء ، وحدث في تلك الدول وظائف جديدة ، وتنوعت الوظائف القديمة ، فحدث في اللغة ألفاظ جديدة ، او تنوعت الالفاظ القديمة للتعبير عن تلك المستحدثات .

السجع والتفخيم

فالتفخيم والتبجيل والتعليق ، اقتضت العناية في تنميق العبارات وتحشيتها ، وكان السجع قد اشتهر على أقلام الكتاب ، فبالغوا فسي تنميقة وتوسيعه . والتزام السجع ، يدعو الى استخدام الالفاظ الوحشية المهجورة ، حتى يصير الى ما تنفر منه الاسماع .

والسجع حسن اذا جاء عفوا بلا تكلف ، لا ان يتعمده المسجعون بالعمل والتصنع حتى يبجه الذوق ، وينفر منه السمع . وأصبح التسجيع في ذلك العصر كثيرا ، يتفاخر به اكبر الكتاب ، والناس يومئذ يعدون ذلك مستحسنا ، ونحن نراه قبيحا ولو كان قائله من أشهر الكتبة ، كالعماد الاصفهاني فانه تعمد التسجيع في كلامه عن فتح بيت المقدس ، في كتابه المسمى الفتح القسي ، وهو من أشهر كتبه . واليك عبارة منه تدل على باقيه ، وهي قوله في رحيل صلاح الدين للفتح : «رحل من عسقلان للقدس طالبا . وبالعزم غالبا . وللنصر مصاحبا . ولذيل العز ساحبا . وقد أصحب رَيْض مناه . وأخصب روض غناه . وأصبح رائج الرجاء . أرج الأرجاء . سيَّب العُزف . طيب العرف . طاهر اليد . قاهر الايد . سني عسكره قد فاض بالفضاء فضاء . وملا فأفاض الآلاء . وقد بسط عثير فيلقه مثلاهته على الفللق . وكأنما اعاد المعجاج رآد الضحى جنح الفسق . فالارض شاكية من أجحاف الجحافل . والسماء حاظية بأقساط القساطل الخ» .

فترى من نص هذه العبارة ، انهم كانوا يستعينون بالتسجيع للاطناب على ما اقتضاه حال تلك الايام وتلك الدول من التفخيم ، لان في التسجيع رنة توهم الاطناب والاطراء .. ولهذا السبب ايضا كثرت المترادفات في نعوت التفخيم ، فمن أمثلة ذلك ما قاله المرادي في تعريب الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه «أعيان القرن الثاني عشر للهجرة» قال :

«هو استاذ الاساتذة ، وجهبذ الجهابذة الولي العارف ينبوع العوارف والمعارف ، الامام الوحيد ، والهمام الفريد ، العالم العلامة ، والحجة الفهامة، البحر الكبير ، والحبر الشهير، شيخ الاسلام صدر الأئمة الاعلام، قطب الاقطاب الذي لم تنجب بمثله الاحقاب ، العارف بربه ، والفائز بقربه وحبه ، ذو الكرامات الظاهرة ، والمكاشفات الباهرة الخ .. الخ» ولم يكن ذلك التطويل قاصرا في وصف رجال الفضل ، كالنابلسي ، بل كان شاملا كل انسان .

وما زالت الركافة تنوالى على الانشاء العربي ، حتى بلغت منتهاها في اول القرن الماضي ، وكثرت الالفاظ العامية والدخيلة .. فمن أمثلة ذلك ما جاء في الجبرتي في اثناء كلامه عن حرب الفرنسيين وهي قوله : «وفي الثلاثة حضر هجان وباش سراجين ، ابراهيم بك وأخبر ان الجصاصنة عزموا على الارتحال والرجوع ، وفك الجسر ، فعمل الباشا ديوانا الخ» وقوله : «وفي ذلك اليوم وصل ططري من الديار الرومية وعلى يده مرسومات ، فعملوا في صباحها ديوانا وقرئت المرسومات الخ» .

١٠ - الالفاظ المولدة في عصر التنهوير

هذا ما يقال من حيث التراكيب ، وأما الالفاظ فقد كثر فيها الدخيل والمؤكد ، وأكثرها في الالفاظ الادارية المتعلقة بالحكومة ونظمها وما

يتعلق بها .

والتيك أمثلة من الالفاظ المولدة في عصر التدهور مما يختص بالادارة،
وقد وضعنا بازاء كل لفظ ما صار اليه معناه في ذلك العصر :

النائب : القائم مقام السلطان .

الساقي : المتولي مد السماط وتقطيع اللحم وسقي المشروب .

المشرف : متولي أمر المطبخ .

ملك الامراء : من الالقاب التي اصطلحوا عليها لنواب السلطان .

رأس النوبة : الذي يتحدث على ممالك السلطان .

امير المجلس : الذي يتولى امر مجلس السلطان .

وقس على ذلك سائر الرتب المحدثة في الدول التركية ، والكردية ،
كأمير السلاح ، ومقدم الممالك ، وأمير علم ، وتقيب الجيش ، والعامل ..
وهذا غير العامل في الدولة العربية فانه في الدولة التركية يراد به منظم
الحسابات .. ومثلها الصيرفي، وكاتب السر ، والناظر .. وهو خاص في
الاموال ، وصاحب الديوان ، والشاهد ، وغيرها .

ومن هذا القبيل الالفاظ او النعوت التي تكتب في المكاتبات
والولايات ، والتيك امثلة منها :

الجناب : من ألقاب ولاية العهد بالخلافة ومن في معناهم ، كامام الزيدية
اليميني في مكاتبته عن الابواب السلطانية .

المقام : هو خاص بالملوك .

المقر : يختص بكبار الامراء ، وأعيان الوزراء ، وكتاب الشرف : كناظر
الخاص ، وناظر الجيش ، وكاتب الدست .

الجناب : من ألقاب أرباب السيوف والاقلام جميعا .. فيما يكتب به عن
السلطان وغيره من النواب ومن في معناهم .

المجلس : هو من ألقاب أرباب السيوف والاقلام ممن لم يؤهل لرتبة
الجناب .

مجلس (بلا آل) : يضاف الى ما بعده ، فاذا قيل مجلس الامير كان لقب
أرباب السيوف على اختلاف طبقاتهم ، واذا قيل مجلس القاضي
كان مختصا بأرباب الاقلام . واذا قيل مجلس الشيخ كان لقب
الصوفية وأهل الصلاح . واذا قيل مجلس الصدر كان للتجار
وأرباب الصنائع .

الحضرة : ويراد بها حضرة صاحب اللقب ، وهي من الالقاب القديمة التي
كانت تستعمل في مكاتبات الخلفاء . . وكان يقال فيها الحضرة
العالية والحضرة السامية ، ثم صارت تستعمل في العصر الذي
نحن فيه للمخاطبة من الابواب السلطانية الى بعض الملوك او
الاعيان .

هذه أمثلة قليلة مما تولد في اللغة العربية من الالفاظ التي اقتضاها
عصر الدول الاعجمية ، وأكثرها كان له معنى وتنوع على ما اقتضته
الاحوال عملا بناموس الارتقاء .

٢ - الالفاظ الدخيلة في عصر التدهور

وأما الالفاظ الدخيلة ، ففيها الفارسي ، والتركي ، والكردي . .
وكلها ادارية من اصطلاحات الحكومة ، واليك أمثلة منها :
الاستادار : يتولى قبض مال السلطان او الامير وصرفه ويمثل أوامره فيه .
الجوكاندار : لقب من يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة .
الطبردار : الذي يحمل الطبر .
سنجددار : يحمل السنجق وهو العلم .
البندقدار : وهو يحمل جراوة البندق خلف السلطان او الامير .
الجمدار : الذي يتصدى لالباس السلطان او الامير ثيابه وأصله جامادار .
البشمقدار : يعمل نعل السلطان .

المهندار : يهتم بالرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم الضيافة .
الزنان دار : وهو الزمام دار يتحدث مع السلطان ، وهو من الخدم او
الخصيان .

الجاشنيكر : يتصدى لذوقان الماكول خوف التسمم .

السراخور : يتحدث عن علف الدواب .

أميراخور : صاحب الاصطبل .

أميرجاندار : يستأذن على الامير وغيره في ايام الموابك .

وفس على ذلك ما دخل اللغة في ذلك العصر من الاصطلاحات
العسكرية والمالية والتجارية ، ومن هذا القبيل الاصطلاحات العسكرية
والادارية في الدولة العثمانية . وبعضها تركي ، او فارسي صرف ، وبعضها
مركب من التركي . او الفارسي ، والعربي : كالجاويش ، واليوزباشي ،
والبكباشي ، والسرعسكر ، والمالين ، والسركي ، والياور ، وأميرالاي ،
والاوردي . والآلاي . والطابور . والباشا ، والبيك ، والاغا ، ومنها ما
هو عربي بصيغة تركية : كالمكتوبجي ، والمابنجسي ، والمحاسبجي ،
والباشكاب ، والسلامك ، وما ينهي بلفظ «خانة» كالرصدخانة ،
والكتبخانة . او بلفظ «دار» كالدفتردار ، والخزندار . . ناهيك بالالفاظ
العربية المولدة التي اكتسبت معاني جديدة في الدولة العثمانية : كالناظر ،
والمصرف . والمحتسب . والتابعية ، والمسئولية ، والصدر الاعظم ،
والمدعي عومي . والقائسقام ، ونحو ذلك وهو كثير جدا ، وسيأتي ذكر
بعضه مفصلا في اثناء كلامنا على النهضة العلمية الاخيرة .

النهضة العلمية الأخيرة

لم يمر على اللغة العربية عصر أثمر في ألفاظها وتراكيبها تأثير النهضة الأخيرة في أواسط القرن الماضي ، لأنها جاءت على غرة دفعة واحدة . . فانهاالت فيها العلوم انهيال السيل ، وفيها الطب ، والطبيعيات والرياضيات ، والعقليات وفروعها ، ولم تترك للناس فرصة للبحث عما تحتاج اليه تلك العلوم من الالفاظ الاصطلاحية مما وضعه العرب او اقتبسوه في نهضتهم الماضية ولا لوضع الاوضاع الجديدة . والسبب في ذلك ان الذين اشتغلوا في ميادين العلوم الحديثة عند اول دخولها مصر والشام في أواسط القرن الماضي ، لم يكونوا على سعة من علم اللغة . . فلما ترجموا تلك العلوم الى اللغة العربية لم يهتدوا الى مصطلحاتها القديمة ، او اهتدوا الى بعضها ووضعوا للبعض الاخر ألفاظا لا تنطبق على المراد بها تمام الانطباق . . لكنها صقلت بتوالي الاعوام وصارت تدل على المراد ، كما اصاب أمثالها في اثناء النهضة العباسية وغيرها . فلما انقضت تلك البغته ، وتكاثرت المدارس ونشأ الكتاب وعلماء

اللغة ، عادوا الى النظر فيما دخل اللغة من المصطلحات العلمية ، او الادارية الجديدة ، وقلما استطاعوا تبديل شيء منه لتأصله وشيوعه في الكتب والجرائد والاندية وغيرها .. على انهم لم يعدوا وسيلة فسي اصلاح الانشاء والرجوع بعباراتهم الى نحو ما كانت عليه في صدر الدولة العربية ، لانهم تحدوا فطاحل الكتاب في تلك العصور مع مراعاة الذوق والسهولة .. فنبغ بيننا كتاب لا يفضلهم ابن المقفع ، ولا ابن خلدون ، ولا غيرهما من صفوة الكتاب وعمدة المنشئين في شيء .. وقد أغفلوا السجع البارد ، وقللوا من الاطناب وأبطلوا المترادف .. وهم عاملون على تنقية اللغة مما خالطها من الاجماش والادران ، وما اصابها من الضعف في عصر الانحطاط .. واذا تدبرت لغة الكتاب والمنشئين في اول هذه النهضة ، وقابلتها بلغة كتابنا اليوم رأيت الفرق كبيرا ، وتوقعت ان تعود الى أسمى ما بلغته من درجات الكمال في عصر زهوها وشبابها ..

على اننا لا نظنهم مع ذلك قادرين على تنقيتها مما داخلها من الالفاظ والتراكيب الاعجمية ، او مما تولد فيها من الالفاظ العربية الجديدة على ما اقتضاه تمدن الحديث من العادات الجديدة والآداب الجديدة والعلوم الجديدة . وقد دثر من اللغة كثير من الاصطلاحات القديمة ، وقام مقامها مصطلحات جديدة .. شأن الكائنات الحية الخاضعة لناموس الارتقاء .

فالتغير الذي اصاب اللغة العربية في النهضة الاخيرة ، قد اصاب الالفاظ وتراكيبها .. وبعضه دخلها من اللغات الاجنبية ، والبعض الآخر تولد فيها بالتنوع والتفرع .. وللإحاطة بالموضوع نقسم الكلام فيه الى قسمين : نبحت في القسم الاول عن الدخيل ، وفي القسم الثاني عن المولد .

١ - الدخيل

يقسم الدخيل في اللغة العربية في اثناء هذه النهضة الى اربعة اقسام:
(أ) الالفاظ الادارية (ب) الالفاظ التجارية (ج) الالفاظ العلمية
(د) التراكيب الاجنبية .

١ - الالفاظ الادارية الدخيلة

اكثر هذه الالفاظ من مصطلحات الدولة العلية ، وأكثرها تركيبي ،
وفارسي ، وقد ذكرنا أمثلة منها في كلامنا عما دخل اللغسة في عصر
التدهور . . وبعض تلك الالفاظ أخذ من اللغات الافرنجية ، وخاصة
اللغتين الايطالية والفرنسية ، وهي :

معناها	لغتها الاصلي	١ - الالفاظ الادارية التركية
راية	سنباق	سنبق
كتيبة	طابور	طابور
سرب	بلوك	بلك
فرقة	آلاي	الاي
جيش	اوردو	اوردي
مزرعة	جفلتك	جفلتك
نموذج	اورتك	اورنيك
جيش	اوردي	اورطة

ويلحق بالالفاظ التركية كل ما تركب تركيبا ، ولو كان عربيا او فارسيا . والغالب ان يكون ذلك التركيب مع «جي» للنسبة او «باش» رأس كقولهم : مكتوبجي ، ومخزنجي ، واجزاجي ، وتمرجي ، وهذه مركبة من تيمار بالفارسية (سياسة المرضسي) وجي . وباشكاتب ، وباشمهندس (مهندس اسم فاعل من لفظ فارسي الاصل «اندازه» معناه التقدير) ، وحكيمباشي . وقد يركب من الاثنين معا مثل مخزنجي باشي ، ومكتوبجي باشي ، وقس عليه . . .

معناها	لفظها الاصلى	٢ - الالفاظ الادارية الفارسية
معاون	ياور	ياور
طوابع رسمية	تمغا	تمغة
مرفأ	بندر	بندر
قطعة	باره	باره
فارس	سواره	سواري
بيت	سراي	سراي

ويلحق بالالفاظ الادارية الفارسية ما يركب من الالفاظ مع «دار» صاحب او «خانة» بيت في آخر الكلمة او «سر» رأس في أولها كقولهم: حكمدار ، وبيرقدار ، ودفتردار ، وكتبخانه ، وخسته خانه ، واجزخانه ، وسردار ، وسر عسكر ، وسر تشریفاتي ، وقس على ذلك . وقد تقدم ذكر بعضها في كلامنا عن عصر التدهور .

معناها	لفظها الاصيل	٢ - الالفاظ الادارية الفرنسية
صاحب الأمر	Commandant.	قومندان
قائد	Général	جنرال
وكيل	Consul	قنصل
ضابطة	Police	بوليس
كاتم السر	Secrétaire	سكرتير
مجلس الأعيان	Parlement	برلمان
مندوب	Commissaire	قومسير

معناها	لفظها الاصيل	٤ - الالفاظ الادارية الايطالية
البريد	Posta	بوسطة
بدلة رسمية	Uniforma	يونيفورما
حارس	Guardiano	ورديان
سلم	Scala	اسكله
أمر عال	Decreto	ديكرتو
رخصة	Patenta	باطنطة

٥ - وهناك ألفاظ ادارية مقتبسة من لغات اخرى ، كلفظ «العرش»
فانه معرب Groschen بالالمانية و «امبراطور» من Emperor
في اللاتينية وغيرها .

ب - الالفاظ التجارية الدخيلة

اشتر هذه الاصطلاحات معربة عن الايطالية والفرنسية، لان الايطاليين او أهل البندقية من أقدم تجار أوروبا اختلاطاً بالمشاركة في القرون الاخيرة... واليك أمثلة من الاصطلاحات الايطالية :

معناها	لفظها الاصيل	١ - الالفاظ التجارية الايطالية
صرف	Cambio	كمبيو
حوالة	Cambiale	كمبيالة
كشف	Fattura	فاتورة
تأمين	Sicurtà	سيكورتا
شركة	Compagna	قومبانية
مستشفى	Ospitale	اسبتالية
اقامة الحجة	Proteste	بروتستو
تجارة	Borsa	بورصة
شهادة	Diploma	ديبلوما
.....	Agio	اجيو

معناها	لفظها الاصيل	٢ - الالفاظ التجارية الفرنسية
متعد ثم المصرف	Bano	بنك
لجنة	Commission	كومسيون
لقطع	Coupon	كوبون

وهناك ألفاظ متفرقة من لغات اخرى : كالكمرك مثلا ، فانه تعريب «كومركي» باليونانية ، وكذلك ناولون .. وشك مأخوذة من صك الفارسية او أصلها صك بالعربية ، وطاقم بالتركية ، ودروباك فسي الانجليزية ، وقس على ذلك ..

ومثل هذا كثير في اصطلاحات نظارات الحكومة ومصالحها ، وخاصة في السكة الحديدية ، والتلغراف ، والحرية .. واصطلاحات التجار ، وأصحاب الحوانيت ، والصناع ، وغيرهم . وهي تعد بالآلاف .. وقد أغفلناها لشهرتها ، ولأن الكتاب يعدونها من قبيل الالفاظ العامة ، فلا دخل لها في بحثنا .

ج - الالفاظ العلمية الدخيلة

الالفاظ العلمية التي دخلت اللغة العربية في هذه النهضة كثيرة جدا ، ومعظمها مقتبس من الفرنسية ، والاطالية ، والانجليزية ، لان اكثر العلوم المترجمة الى لساننا منقولة عنها .. على ان المصطلحات العلمية متشابهة في لغات الافرنج . لان مصدرها عندهم اما اللاتينية ، او اليونانية . فلا غرو اذا اخذناها بلفظها كما اخذها الانجليز او الفرنسيون او غيرهم ، وعددناها من قبيل الالفاظ الوضعية بلفظها ومعناها . ويدخل في ذلك أسماء العلوم الجديدة : كالجيولوجيا ، والمترولوجيا ، والفيسيولوجيا ، والشرايوتيا ، والفرينولوجيا ، والهيستولوجيا ، والهدروستاتيك ، والميكانيكيات ، وغيرها . ويدخل في ذلك ايضا أسماء الآلات الطبيعية او الفلكية او الكهربائية او نحوها .. مما لم يكن له مثل عند العرب ، وسيأتي ذكرها .

فالالفاظ الطبية الدخيلة كثيرة ، وفي جملتها أسماء كثير من الامراض

او العقاقير والادوات ، وأكثره لم يكن له مثيل في الطب العربي ،
كالديسبسيا ، والبانكرياس ، والنفرالجيسا ، والبلورا ، والسنباتوي ،
والبلهارسي ، والدفثيريا ، والهستيريا ، والانيما ، والبروتوبلاسم ونحوها .
ومن المصطلحات الكيميائية غير أسماء العقاقير الكثيرة ما يحدث من
تراكيها ، كالاكسيد ، والكلوريد ، واليودور ، والكربونات ، والفوسفا ،
والاكسسوموس ، والاندسموس ، والكربونيك ، والهيدروكلوريك ،
والهيدروسيانيك ، والفوتوغراف ، والزنكوغراف ، وغيرها من الاسماء
الصناعية المبنية على الكيمياء .

ومن المصطلحات الطبيعية ، البارومتر ، والكهربائية (الكهرباء لفظ
فارسي مركب من «كاه» التبن و «ربسا» جاذب) ، والبطارية ،
والكلفانومتسر ، والشمومتر ، والهيدرومتسر ، والالكتروتيب ،
والميكروسكوب ، والتلسكوب ، والسبكتروسكوب ، والستيريوسكوب ،
والتلغراف ، والفونوغراف ، والتليفون ، والفوتوفون ، والميكروفون ،
وغیرها .

ولو اردنا الاتيان بكل المصطلحات العلمية لما وسعها غير المجلدات ،
فنكتفي بها تقدم على سبيل المثال .

د - التراكييب الاعجمية

معلوم ان اكثر المصادر التي يرجع اليها كتاب اللغة العربية في العلم
الطبيعي وفروعه مكتوبة باللغات الافرنجية ، وأكثر الكتاب عندنا
يحسنون لسانا او غير لسان من اللغات الاعجمية ، وأكثر ما يقرأونه من
الكتب او الجرائد في اللغات الافرنجية . . فضلا عن شيوع تلك اللغات
بين العامة ، فحيث سار الكاتب في المدن الكبرى فانه يسمع العبارات

الافرنجية • فلا غرو اذا داخل عبارته تركيب افرنجي او تعبير اجنبي • ولا يخفى ان لكل لغة أسلوبا في التعبير لا ينطبق بكل تفاصيله على اساليب اللغات الاخرى • واللغات تتقارب وتتباعد في تلك الاساليب بتقارب أصول الشعوب وتباعدها ، والعرب بعيدون في أصولهم عن الافرنج •• فاساليب التعبير في لغاتهم متباعدة ومتباينة ، والغالب ان تمتاز كل لغة ببعض اساليبها على اللغات الاخرى وتقتصر في البعض الآخر •• يعلم ذلك الذين يعانون الترجمة من لسان الى لسان ، فاقتراس العرب بمسئس اساليب الافرنج في كتابتهم قد يكون من جملة مكملاتها ، واذا عده بعض اللغويين فسادا في اللغة ، فلان بعض كتابنا يبالغون في ذلك الاقتباس •• فيتناولون عبارات افرنجية ، في اللغة العربية ما هو أجمل منها وأمتن •• ومن أمثلة ما حدث في اللغة العربية من التراكيب الافرنجية ، وقد جرت على أقلام كثيرين قولهم :

- ١ - فلان كلاهوتي يقدر ان يؤثر كثيرا •
 - ٢ - رأيت صديقي فلان الذي اعطاني الكتاب (أي فأعطاني) •
 - ٣ - رغما عن مساعيه الحميدة لم ينجح في عمله •
 - ٤ - مستمدا العناية من الله أقف بينكم خطيبا •
 - ٥ - لعب فلان دورا مهما في هذه المسألة •
 - ٦ - المعاهدة المصادق عليها من الدولة الفلانية •
 - ٧ - ان الامر الفلاني مضر بقدر وشرف ومالية فلان •
 - ٨ - يوجد في بلاد الحجاز عدة جبال •
- ونحو ذلك من التراكيب التي ترى الصيغة الافرنجية ظاهرة فيها •• على ان اهل العناية في الانشاء العربي قلما يستخدمونها ، وان كنا لا نرى بأسا من استخدام بعضها في الاحوال التي تضيق التراكيب العربية فيها •

٢ - المولد

ونريد بالمولد ألفاظا عربية تنوعت دلالتها للتعبير عما حدث من المعاني التي اقتضاها التسدن الحديث في الادارة او السياسة او العلم او غير ذلك ، وهي كثيرة نذكر أمثلة منها •

١ - الالفاظ الادارية المولدة

وهي ما استخدمته الحكومة من الالفاظ العربية لمعان حدثت فسي الدولة او تنوعت على مقتضى السياسة او الادارة ، وهاك أمثلة منها :

المالية	أموال غير	مقررة الايرادات	مكافأة
الداخلية	المأمور	التكليف	قلم تحريرات
الخارجية	رئيس قلم	محافظة	تشريفاتي
الاشغال العمومية	مفتش	مركز	خدمة سائرة
المعية	معاون	عوائد	تعويضات
الخاصة	متصرف	رسوم	معاشات
الدائرة السنية	مصلحة	مصاريف ثرية	مصلحة الري والترع
المدير	نظارة	مساحة التوالف	شورى القوانين
الناظر	ميزانية	علاوة	معاون اول
			وثاني الخ ••
كاتب اول	السخرة	ملاحظ	النيابة
وثاني الخ ••			
قواص	مستشار	رتبة اولى الخ	ناظر النفوس

مراقب	مساعد	متمايز	قضاء
أموال مقررة	مستخدم	تذكرة مرور	أحياة

٢ - الاصطلاحات الجنديّة ومنها :

المشير	أركان حرب	بدل سكن	النسافة
الفریق	تجهيزات حرّية	الاستعراض	الطراة
اللواء	ضابط	الحرّية	العواصة
قائمقام	نفر	المهمات	الدارعة
خفر السواحل	تعيينات	الهدنة	البارجة
القرعة العسكرية	كساوي	البلاغ النهائي	غرامة الحرب
بدل سفريّة			

٣ - الاصطلاحات القضائيّة ومنها :

الحقانيّة	محكمة الجراء	النيابة	مدعي عمومي
العدلية	المجالس الاهلية	النقض والايّام	ميميز
محضر	المجالس المختلطة	معارضة	
المحكمة الابتدائية	مجالس للاستئناف	الحكم العرفي	

٤ - اصطلاحات سياسية

مؤتمر	السفارة	المحافظون	مجلس الاعيان
معتمد	الاستعمار	الاحرار	مجلس العموم

الاشتراكيون	الاحتلال	مندوب
المسئولية	الدوائر السياسية	السياسة
مجلس الشيوخ		

٥ - اصطلاحات الصحافة

بدل الاشتراك	مراسل	الصحافة
الاعلانات	مكاتب	جريدة
المطبوعات الدورية المنشورات	محرر	مجلة
وغير الدورية الوصل		

٦ - اصطلاحات في الطبيعة

التبلور	السمعيات	الثقل النوعي
القوة	الحل الكهربائي	الزخم
جاذبية الالتصاق	والتباعد عن المركز التماثل	والتباعد عن المركز التماثل
والملاصقة والشعرية العدسة البلورية	انكسار النور	الجاذبية
التداخل	تشرف النور	السطح المائل
البؤرة	استقطاب النور	المفرغة
شفاف	الموشور	القابلة
مظلم		
متير		

٧ - اصطلاحات في الكيمياء

متعادل	كثافة	حامض
منقوع	مرونة	قاعدة
لغائف الحدة	غاز	تحليل
السمات	جامد	الطيف الشمسي
اللائنة الكيماوية		
العبارات		

يستحضر	قلوي	سائل	عنصر
يحضر	حامض	محلول،	الوزن الجوهري
الجوهر الفرد	كاشف	تحليل	املاح
الذرة	الدقيقة	اللبوس	تركيب

٨ - اصطلاحات طبية

انسكاب	الزهري	صمامات القلب	حويصلة
تصلب	الصفير	اللين	غشاء مخاطي
التشخيص	الطنين	تمدد	الخلايا الهوائية
حؤول	الأعراض	تدرن	الاختلاطات

٩ - اصطلاحات صناعية

المحامي	الباخرة	حروف	قطار
الطباعة	الرفاص	أمهات	قاطرة
	السكة الحديدية	المعامل	مطبعة

١٠ - اصطلاحات تجارية

مسك الدفاتر	الفائدة	الشك المسطر	الرهونات
الزنجير	حساب النمرة	الاستاذ	عمولة
الجرد	حساب جاري	اليومية	المقاول
سدد الحساب	العينات	الخرطوش	الرسمية

الميري	الصندوق	المضاربة	الاستهلاك
أسهم الشركات	القسيمة	صرر النقود	مساهمة
القراطيس	الامضاء	التحصيل	المتسبب
استحقاق	الذمات	الطرود	الأطيان
التحويل	الشركات	التصدير	
المشاركة	فتح اعتماد	الاعتماد	التصفية
عميل	دين ممتاز	المصاريف الهالكة	المزايدة
العمولة	الاقتصاد	المال الاحتياطي	المناقصة
تحويل	الرهونات	الساحب	التسجيل
تسليف نقود	الممارسة	المسحوب عليه	ميعاد
سحب(السندات) المحصول		حامل السند	استحقاق

هذه أمثلة من الالفاظ المؤكدة في النهضة الاخيرة في الادارة والسياسة والتجارة ، والعلم ، والصناعة . وهي كما تراها عربية الاصل والاشتقاق ، وأكثرها كان معروفا في اللغة ومدونا في المعجمات من قبل لمعان قريبة ، مما استعملها له المؤكدون او شبيهة بها على نحو ما حصل في العصر العباسي . . . ولكل من هذه الالفاظ تاريخ يدل على ما تقلبت فيه من الدلالات المتقاربة من زمن الجاهلية ، فالعصر الاسلامي ، فعصر التدهور الى هذا العصر .

ولا ننكر ان بعض هذه المؤكدات كان في الامكان الاستغناء عن توليدها باستعمال الالفاظ كانت في اللغة قبل هذه النهضة ، ولها نفس الدلالة المطلوبة ، ولكن قضت الاحوال بالتجديد المستمر . . . وهو من نواميس الحياة .

وأكثر التوليد المذكور حدث تدريجا واعتباطا لاسباب متفرقة

ومختلفة ، لا يمكن تعيينها او حصرها . . على ان بعضها وضع عن روية
وقصد وهو قليل . وأما الاغلب في هذا التوليد ان يدخل اللغة تدريجا
مثل تدرج العادات والآداب في تولدها ودخولها في جسم الامة . ومن
أوضح الامثلة على ما تتقلب فيه الالفاظ من المعاني او تدرج في ابداله ،
ما اصاب نعوت التفخيم من التفسير المعجيب باتقالها من عصر الى عصر . .
فالاديب ، والألمعي ، والفاضل ، والعلامة ، والفهامة ، وحضرة وجناب ،
يستخدمها الكتاب اليوم لغير ما كان يستخدمها الاقدمون . . وقد
يكون الفرق بعيدا بين المعنيين . فالاديب مثلا مشتقة من الادب ، وهو
يشمل معظم ضروب العلم . . وقد استعملها المولدون في العصور
الاسلامية الوسطى لما نستعمل له اليوم لفظ العالم الفاضل ، وما زالت
دلالتها تتصاغر حتى صاروا يستخدمونها لاصغر خدمة الادب . والحضرة،
والجناب كاتتا من نعوت الملوك والامراء ، فأصبحتا تستخدمان لأحقر
العامة . وقس على ذلك سائر الالقاب . . وشأن هذه النعوت في حياتها
شأن الرتب وأدوارها ، فلفظ «بيك» مثلا معناه الامير ، او الملك . .
وكانوا يسمون به كبار الامراء والقواد ، ثم جعلوه لقباً ملكياً يمنح
لبعض الوجهاء ونحوهم ممن يأتون عملا عظيما ، ثم صار الى ما تعلم .
ويقال نحو ذلك في سائر الرتب والنعوت ، فهي في صعود وهبوط وتولد
ودثور في دلالتها ، شأن الطبيعة في كل أحوالها .

لغة الحكومة المصرية

في دواوينها

لا غرو اذا أفردنا للغة الحكومة المصرية بابا خاصا لاختصاصها
بألفاظ وتعبيرات لا مثيل لها في اللغة الفصحى ، وفيها ما لا يمكن تطبيقه
على قاعدة ، ولا الرجوع به الى قياس .. ففي مخاطبات الدواوين
وصور الاوامر العالية من الالفاظ الغريبة ، والتراكيب الركيكة ما هو
غريب في بابه ، وقد بلغ ذروة الغرابة في أواسط القرن الماضي قبل
نضج هذه النهضة .

وأصل الركافة والغرابة في لغة الدواوين ، يرجع الى عصر التدهور
في زمن الامراء والمماليك .. وطبيعي ان اللغة تحيا بحياة اهلها ، وتموت
بموتهم ، وتزهو بزهوهم ، وتنحط بانحطاطهم .. ففي عصر أولئك
الامراء ، بلغت مصر من التدهور في السياسة والادارة والآداب والعلوم
ما لم يبق بعده غاية .. فلم ينقض القرن الثامن عشر حتى صارت لغة
الكتابة أشبه شيء بلغة العامة لركافة عبارتها مع ما فيها من الالفاظ
الاعجمية ، والعامية .

فدخل الفرنسيون مصر في اواخر القرن المذكور ، ولغة العلماء تكاد

تكون عامية ، واليك أمثلة من كتاب نشره علماء مصر ومشايخها اثناء احتلال الفرنسيين ، قالوا :

«نعرف اهل مصر من طرف الجمعية وأشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية والمسكر الفرنسية ، بعد ما كانوا اصحابا وأحبابا بالسوية، وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ، ونهبت بعض البيوت ، ولكن حصلت أطفاف الله الخفية ، سكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند امير الجيوش بونايرته ، وارتفعت هذه البلية لانه رجل كامل العقل ، عنده رحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة الى الفقراء والمساكين ، ولولاه لكات العماكر أحرقت جميع المدينة ونهبت جميع الاموال وقتلوا كامل اهل مصر ، فعليكم ان لا تحركوا الفتن . ولا تطيعوا امر المفسدين ، ولا تسمعوا كلام المنافقين ، ولا تتبعوا الاشرار ، ولا تكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لا يقرأون العواقب ..»

وفد ذكرنا مثالا من كلام الجبرتي مؤرخ تلك الحوادث في كلامنا عن اللغة العربية في عصر التدهور .

ولما جاء الفرنسيون الى مصر ، كان في جملة حملتهم جماعة ممن التراجمة ليتوسطوا بينهم وبين الاهالي والعلماء ، و يترجموا لهم المنشورات ، والمراسلات ، ونحوها .. والظاهر انهم كانوا من غير ابناء اللغة العربية .. فكانوا اذا ترجموا عبارة صاغوها في قالب افرنجي ، وما لم يجدوا له لفظا عربيا تركوه بلفظه الافرنجي او وضعوا له لفظا عاميا . فلما أفضت الولاية الى محمد على مؤسس العائلة الخديوية ، وأخذ في انشاء الدواوين ، لم يكن له غنى عن يترجم بين حكومته وحكومات دول اوربا ، فاستخدم التراجمة وفيهم جماعة من اهل المغرب وغيرهم ، واللغة لا تزال في انحطاطها وركاكتها ، والذين يعرفون اساليبها ويحفظون ألفاظها قليلون جدا .. وخاصة بين الذين استخدموهم في الدواوين

للكتابة او الترجمة . وقد رأيت مثالا من لغة المشايخ والعلماء ، وقد
 قضوا أعواما طويلا في الازهر ، وقرأوا كتب العلم والفقه .. فكيف
 بكتئاب الدواوين والترجمة ..

ومما زاد اسباب الفساد في اللغة ان الحكومة بدأت في انشاء
 الدواوين وترتيب مصالح الحكومة والقضاء وغيرها ، قبل اهتمامها
 بتعليم الناس وتهذيبهم وترقية أفكارهم واصلاح شأنهم .. فدخل في
 العصر الاول لحكومة محمد علي كثير من الالفاظ والتراكيب العامية ،
 ثم تنوعت وتكيفت على أسلوب خاص وأوضاع خاصة وألفاظ خاصة ..
 وعرفت بلغة الدواوين .

فلما استنار الناس على أثر نشر الصحافة ، ونبع الكتاب ، والمنشئون
 في أواخر القرن الماضي ، انتظم جماعة منهم في مناصب الحكومة الكتابية،
 فنقحوا كثيرا من تلك الغرائب ، ولا يزالون عاملين على تنقيحها .
 ومع ذلك فلا يزال فيها من الالفاظ الموكدة ، والدخيلة ، وضروب
 التركيب ما هو بعيد عن لغة سائر الكتاب ، حتى في معاني الالفاظ العربية
 المستعمل عند كليهما ، وهالك أمثلة كثيرة الشيوع ..

الفاظ ديوانية	معناها	الفاظ ديوانية	معناها
مطاعة	شكوى	معروض	(عرضحال)
براءة الساحة	تبرير	ناحية	قرية
بالقضاء والقدر	عرضا	عزبة	دسكرة
اتضححت اداتته	ظهر ذنبه	ابعدية	مزرعة
صرف	دفع	نزل	ادارة تقديم المؤن
عريضة	براءة	انجرارية	ادارة المراكب

نفقان	مصروفات	بحرية مركب	لماقم
كاتب	خوجا (سفينة)	مزوّر	مفتعل
خاصته	تعلق فلان	موقت	ظهورات
أطلق سراحه	أفرج عنه	جديد	نشاوي
سند	مستند	صار فقيرا	اضمحل حاله
كسر	جبر	رأسا	مباشرة
مات	نقق	خزاة	دولاب
خادم عسكري	مراسلة	راتب يعطى بعد الرفت	استيداع
		متأخرات المال	عجوزات

وغير ذلك كثيرا من الالفاظ العربية وغير العربية .. وقس عليه
النراكيب والتعبيرات الخاصة مثل ادخال «لم» على فعل المضارع كقولهم:
«لم اتي» بدلا من «لم يأت» وصوغ الفعل المجهول من المصدر وفعل
الصيرورة على نحو ما في اللغات الافرنجية كقولهم : «صارت كتابته»
بدلا من «كتب» .

وقد ولدوا صيغة خاصة للفعل الماضي تركب من المصدر ، ولفظ
«معرفة» فيقولون : «كتب الكتاب بعرفة فلان» بدلا من قولنا : «فلان
كتب الكتاب» وربما ركبوا هذه العبارة مع التي قبلها ، فقالوا : «صارت
كتابة الكتاب بعرفة فلان» وقس على ذلك .. ناهيك بركاكة التعبير ،
وان لم تخالف قواعد النحو او الصرف ما يضيق عنه المقام وقد أغضينا
عنه لشهرته .. على ان كتاب اللغة وعلماها يعدون تلك الالفاظ وأمثالها
من قبيل الاصطلاحات العامية واستعمالها خطأ ، وقد اخذت الحكومة في
تنقيحها بالتدريج كما تقدم .

الخلاصة

يتبين للقارىء مما ذكرناه عن أحوال اللغة العربية فيما توالى عليها من العصور والادوار في اثناء نموها وارتقائها من زمن الجاهلية الى هذا اليوم . انها سارت في كل ذلك سير الكائنات الحية بالذثور والتجدد المعبر عنه بالنمو الحيوي . . فقد تولدت في العصر الاسلامي ألفاظ وتراكيب لم تكن في العصر الجاهلي ، وتولدت في العصور التالية ما لم يكن فيما قبلها . وأخيرا تولدت في نهضتنا الاخيرة من الالفاظ والتراكيب ما لم يكن معهودا من قبل . . فالوقوف في سبيل هذا النسو مخالف للنواميس الطبيعية ، فضلا عن انه لا يجدي نفعا . . فاللغة كائن حي نام خاضع لناموس الارتقاء ، ولا بد من توالي الذثور والتولد فيها . . اراد اصحابها ذلك او لم يريدوا . تنولد ألفاظ جديدة وتندثر ألفاظ قديمة على مقتضيات الاحوال لحكمة شملت سائر الموجودات .



وقد آن لنا ان نلخص أقلامنا من قيود الجاهلية ، ونخرجها من سجن

لبداوة .. والا فلا نستطيع البقاء في هذا الوسط الجديد . فلا ينبغي لنا احتقار كل لفظ لم ينطق به اهل البادية منذ بضعة عشر قرنا ، لان لغة البراري والخيام لا تصلح للمدن والقصور ، الا اذا ألبسناها لباس المدن .. فلا بأس من استعمال الالفاظ الموثدة التي لا يقوم مقامها لفظ جاهلي ، لان معناها لم يكن معروفا في الجاهلية ؛ او التي كان لها لفظ وترك فأصبح غريبا مهجورا .. فاستعمال اللفظ الموثد خير من احياء اللفظ الميت ، واستبقاء المولود الجديد أولى من احياء الميت القديم .. واذا عرض لنا تعبير اجنبي لم تستعمل العرب ما يقوم مقامه لا بأس من اقتباسه . وفي اعتقادنا ان اطلاق سراح الاقلام على هذه الصورة ، يكشف لنا عن جماعة كبيرة من ارباب القرائح .. يقعدهم عن الاشتغال بالادب خوفهم من الوقوع في خطأ لغوي او يباني يؤاخذون عليه .. وليست فيهم شجاعة ادبية تحملهم على عدم المبالاة بالنقد .. اذا كان فيما يكتبونه فائدة .. والخطأ اللغوي لا يقلل شيئا من قدر الكتاب ، لان الاحاطة بكل اوضاع اللغة وقواعدها وشواردها لا يتأتى الا لقليلين .



على اننا لا نقول في هذا الانطلاق نحو ما يقوله الافرنج في لغاتهم، لان شأننا في لغتنا غير شؤونهم في لغاتهم .. فلا بد لنا مع هذا الاطلاق من الرجوع الى القواعد العامة والروابط الاساسية ، فلا نفسد اللغة بالفاظ العامة وتراكيبهم .. ولا نكثر من الدخيل حتى تصير لغتنا مثل اللغة التركية العثمانية التي اصبحت لكثرة ما أدخلوه فيها من الالفاظ العربية والفارسية والافرنجية ، لا مثيل لها في العالم الا اللغة الهندستانية (الاوردية) التي يكتب بها الهنود جرائدهم وكتبهم .. اما اللغة العثمانية، فاذا عدت ألفاظها باعتبار اللغات المؤلفة هي منها ، كان نحو ٧٠ في المائة

من الالفاظ العربية و١٥ في المائة من الفارسية ، وه في المائة من اللغات
الافرنجة ، وعشرة في المائة فقط من الالفاظ التركية الاصلية ، ويقال
نحو ذلك هي اللغة الاوردية ، وفي اللغة المالطية •



اما اللغة العربية ، فلا بد من المحافظة على سلامتها والاهتمام
باستبقائها على بلاغتها وفصاحتها ، وخاصة بعد ان اخذت تنهض الى ارقى
ما بلغت اليه في ابان شبابها •• فلا يستحسن الاستكثار فيها من الدخيل
والمولكد ، وانما يؤخذ منها بقدر الحاجة ، على ان نعد ذلك الاقتباس
نمواً وارتقاء ، لا فسادا والحطاطا •

على اننا نعدّ ما كتبناه في هذا الموضوع خواطر ابديناها ، وفتحنا
بها باب البحث • وأما استيفاء الكلام في تاريخ اللغة والفاظها وتراكيبها
فلا يسعه الا المجلدات الضخمة •• فتقدم الى أئمة اللغة وكتّابها ،
وعلمائها ان يزيدونا من هذا الموضوع خدمة لهذه النهضة ••

فهرست

٥	مقدمة
٨	تمهيد
١١	أدوار تاريخ اللغة
١٢	العصر الجاهلي
١٥	الالفاظ الاعجمية
٢٥	التغيير في الالفاظ
٣٢	اللغة العربية وحدها
٣٥	الالفاظ الاسلامية
٣٩	الالفاظ الادارية
٥٠	الالفاظ العلمية
٥٨	الالفاظ العامة
٦٣	الالفاظ النصرانية واليهودية
٦٧	الالفاظ الدخيلة والمولدة في عصر التدهور
٧٣	النهضة العلمية الاخيرة
٨٨	لغة الحكومة المصرية في دواوينها
٩٢	الخلاصة